الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم تاريخ

العنوان:

الحياة الاجتماعية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين {10. 13هـ / 16. 19م}

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعدادالطلبة:

✓ زاوي ياسمينة

تحت إشراف الأستاذ:

✓ أ.د ناصر بالحاج

لجنة المناقشة:

لقب واسم الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
بن قومار جلول	أستاذ تعليم عالي	غرداية	رئيسا
ناصر بالحاج	أستاذمحاضر"أ"	غرداية	مشرفا ومقررا
ال سيد الشيخ سعاد	أستاذمساعد"أ"	غرداية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم تاريخ

العنوان:

الحياة الاجتماعية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين {10. 13هـ / 16. 19م}

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعدادالطلبة:
✓ زاوي ياسمينة

تحت إشراف الأستاذ:
✓ أ.د ناصر بالحاج

لجنة المناقشة:

لقب واسم الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
بن قومار جلول	أستاذ تعليم عالي	غرداية	رئيسا
ناصر بالحاج	أستاذ محاضر "أ"	غرداية	مشرفا ومقررا
ال سيد الشيخ سعاد	أستاذ مساعد"أ"	غرداية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024م

قال الله في محكم تنزيله بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثى وَجَعَلناكُم شُعوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقاكُم إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ}

[سورة الحجرات: الآية 13]

صدق الله العظيم

الإهداء

قال الله تعالى :{**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**} }سورة النمل، الآية 19.{

نتوجه أولاً بالشكر والثناء إلى الله عز وجل الذي هدانا ووفقنا لإنجاز هذا العمل، وإلى منارة العلم، **والأميّ الذي علّم التعليم** رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

تقول المقولة" :**أينما تقف فإنك تقف على أصابع شخص ما."**

إلى نفسي أولاً:
السلام عليكِ، فأنتِ ابنة الدعاء، وسرٌّ من أسرار الرحمة، ونبتة لا تذبل لأن جذورها في الله.

إلى أمي سندي:
حين تضعين يدك على رأسي وتقولين: "ربي يرضى عليك"، وصوتك حين تقولين: "أنا معاك"، كان أقوى من كل شيء أخشاه، لأنك حضارة من الحنان، وقارة في الصبر، ومحيط من التضحية.

إلى أبي:
إلى من كانت دعواته ترافقني في خُطا العلم، وأهداني قيماً لا تُشترى، يبقى أجمل شعور هو أن أقول: هذا من أجلك، فاقبله هدية من القلب، حيث أهديك هذه الصفحات التي سُطِّرت بعرق الأيام وتعب الليالي. اللهم اجعلهما من أهل الجنة، وارزقهما الصحة والعافية، واجعلني سبباً في برّهما وسعادتهما.

إلى إخوتي:
لأنتم – "عائشة عبد الرحمن ابتسام صبرينة إلياس أحمد رياض " المعنى الأجمل للصداقة الممزوجة بالدم، والرفقة المغزولة بالحب. كنتم الحافز حين خذلتني نفسي، وكنتم السند حين مالت بي الأيام. هذا الإنجاز لا يكتب باسمي وحدي، بل يحمل منكم الكثير؛ في كل سطر، وكل لحظة انتصار، يكتب على أكتاف ذكرياتنا الجميلة.

إلى عائلتي الممتدة التي تحمل اسمي وتشاركني دمي:
أجدادي ـ أعمامي ـ عماتي ـ أخوالي ـ خالاتي، كلٌّ باسمه، أهديكم هذا النجاح، فهو منكم وإليكم.

إلى كل أستاذ وأستاذة ربّاني وعلّمني ونصحني وفتح لي أبواب الفهم:
جزاكم الله عني كل خير.

إلى رفاق الدرب ومقاعد القلم والكتاب:
لكم مني كل الامتنان، لأنكم كنتم جزءاً من هذه الرحلة معي.

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وأخيراً، الذي بفضله وتوفيقه أتممت هذا العمل المتواضع. وبعد هذا المشوار، لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان لكل من ساندني ووقف إلى جانبي وترك بصمة في هذا الإنجاز.

أوجّه شكري وامتناني الكبير لإدارة جامعة غرداية ممثلة في عمادة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية على توفيرها البيئة الأكاديمية والدعم اللازم للبحث العلمي، والشكر الموصول لكل الطاقم الإداري الذي لم يبخل يوماً في تقديم المساعدة.

كل الامتنان والتقدير لأستاذي المشرف **ناصر بالحاج** الذي كان نعم الموجّه والداعم، فبتوجيهاته السديدة وملاحظاته القيّمة تمكنت من السير بثبات في إعداد المذكرة، فله مني كل الشكر والاحترام.

ولا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر لكل أساتذة قسم التاريخ الذين درسوني طوال سنوات التكوين، من مرحلة الليسانس إلى الماستر، فقد تعلّمت منهم الكثير، وكل واحد منهم ترك أثراً لا يُنسى في مسيرتي العلمية.

أعضاء لجنة المناقشة:

لتفضّلها الكريم بالإشراف على هذه الدراسة، بنصحي وتوجيهي حتى إتمامها.

كما أتوجه بالشكر والامتنان لزملائي وزميلاتي في مقاعد الدراسة، الذين شاركوني هذا المشوار بحلوه ومرّه، تقاسمنا الجهد والسهر والطموح، وكنا سنداً لبعضنا البعض.

وكما أتقدم بالشكر لجمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، لفتحها أبوابها أمام المهتمين والباحثين الجادّين لاقتناء المعارف من مخطوطات وكتب ورسائل علمية ثمينة، تمثل إرثاً فكرياً وروحياً نفخر به جميعاً.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتكم، وأن يبارك في جهودكم ويزيدكم توفيقاً وسداداً.

الملخص

يمثل موضوع هذه المذكرة دراسة للحياة الاجتماعية في وادي مزاب خلال العهد العثماني، باعتبارها تجربة حضارية فريدة تجمع بين الأصالة والابتكار. فقد أظهر المجتمع الميزابي قدرة على التكيف مع محيطه الجغرافي القاسي، فأسس نمطًا من العمران يقوم على البساطة والانسجام مع الطبيعة، حيث صُمِّمت مدن وفق رؤية جماعية شورية تراعي خصوصياته الدينية وتعكس روح التعاون. كما برزت العادات والتقاليد كعنصر أساسي في تنظيم الحياة اليومية، بدءًا من اللباس والأكل إلى الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية.

ومن بين هذه المظاهر تبرز المرأة بدور محوري في الأسرة والمجتمع، كما حظيت المناسبات الروحية بأهمية خاصة، إلى جانب مراسم المآتم والجنائز التي نظّموا تفاصيلها، فغايتها محطة تذكير في الدنيا بالآخرة.

أما عن المؤسسات العرفية كحلقة العزابة، فغايتهم التنظيم والرقابة والاستقرار والحماية، ثم إمّا التوبة أو العقوبة أو النفي. وهكذا تتجلى الحياة الاجتماعية في وادي مزاب كما رآها مالك بن نبي؛ إذ ليست بحثًا عن صورة جامدة داخل إطارها، وإنما هي فضاء لتمزيق أغلفة العمق المعرفي لاكتشاف جوهر وقيم جديدة تمثل ملكًا حضاريًا أصيلاً هو ملكنا جميعًا.

الكلمات المفتاحية :وادي مزاب، مزاب، العزابة، العادات والتقاليد.

Abstract

The subject of this memoir represents a study of social life in the M'zab Valley during the Ottoman era, as a unique cultural experience combining authenticity and innovation. M'zab society demonstrated an ability to adapt to its harsh geographical environment, establishing a style of urbanization based on simplicity and harmony with nature. Cities were designed according to a collective, consultative vision that respected its religious specificities and reflected a spirit of cooperation. Customs and traditions also emerged as a fundamental element in organizing daily life, from dress and food to celebrations and social events.

Among these aspects, women played a pivotal role in the family and society. Spiritual occasions were given special importance, along with funeral and burial ceremonies, the details of which were carefully planned to serve as reminders of the afterlife.

As for customary institutions, such as the 'Azaba circle, their purpose was to organize, monitor, stabilize, and protect, followed by repentance, punishment, or exile. Thus, social life in the M'zab Valley, as seen by Malek Bennabi, is not a search for a fixed image within its framework, but rather a space for tearing apart the layers of cognitive depth to discover a new essence and values that represent an authentic civilizational property that belongs to us all.

Keywords: M'zab Valley, M'zab, Azaba, customs and traditions.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الملخص 8
قائمة الملاحق 14
المختصرات و الرموز ..... ب
مقدمة 5

الفصل الأول: الهرم الاجتماعي لوادي مزاب

تمهيد: 16
المبحث الأول: البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب 17
المطلب الأول : الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي مزاب .. **Error! Bookmark not defined.**
المطلب الثاني : الجانب الحضاري والتاريخي لمنطقة وادي مزاب 19
المبحث الثاني: حلقة العزابة والهيئات المرتبطة بها 21
المطلب الأول : تعريف حلقة العزابة..... 21
المبحث الثالث: العشيرة والأسرة 29
المطلب الأول : مفهومها..... 29
خلاصة الفصل..... 37

الفصل الثاني : عادات وتقاليد اجتماعية

تمهيد 40
المبحث الأول: الزواج والمهر 41
المطلب الأول : تعريف الزواج..... 41
المطلب الثاني : مراسم العرس في مزاب..... 43
المبحث الثاني: المآتم..... 48
المطلب الأول : مرحلة الإعلان عن الوفاة وتجهيز الميت 48

المطلب الثاني: مرحلة دفن الميت 49
المطلب الثالث : تنفيذ الوصية 51
المبحث الثالث: موسم الزيارة 51
المطلب الأول : الجولة الصباحية و المسائية حول البلدة 51
المطلب الثاني : أهدافها 53
المبحث الرابع: مؤتمر لا إله إلا الله 54
المطلب الأول : جلسة التهيئة للملتقى 54
المطلب الثاني : يوم و مدة الملتقى..... 55
المطلب الثالث : أهداف المؤتمر 55
خلاصة الفصل..... 58

الفصل الثالث : الحياة اليومية

تمهيد 61
المبحث الأول : اللباس و الطعام..... 62
المطلب الأول : اللباس 62
المطلب الثاني : الطعام..... 65
المبحث الثاني : المولد النبوي..... 67
المطلب الأول : المولد النبوي 67
المطلب الثاني : من عادات المزابيين ليلة المولد النبوي 68
المبحث الثالث : العمران..... 69
المطلب الأول : الفن المعماري عند مزاب المدينة..... 69
المطلب الثاني : المنشآت الدفاعية 71
المطلب الثالث : فضاءات أخرى 74
خلاصة الفصل..... 76

الفصل الرابع : الحياة الاقتصادية في وادي مزاب

تمهيد 79
المبحث الأول : الفلاحة والرّي 80
المطلب الأول :الماء 80
المبحث الثاني : الحرف و الصناعات التقليدية 84
المطلب الأول : الصّناعة 85
المطلب الثاني : المنتوجات النسيجية 87
المطلب الثالث : الحلي 88
خلاصة الفصل 90
خاتمة 92
قائمة المراجع 97
قائمة الملاحق ..... **Error! Bookmark not defined.**

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق

الرقم	الملحق	الصفحة
01	الملحق رقم 01 : وادي مزاب	82
02	الملحق رقم 02 : شبكة وادي مزاب	
03	الملحق رقم 03 : نظام الفقارة	
04	الملحق رقم 04 : أحولي لباس النساء	
05	الملحق رقم 05 : فك العشيرة للنزاعات	
06	الملحق رقم 06	
07	الملحق رقم 07 : فخار في القبر	
08	الملحق رقم 08 : مسار الزيارة	

المختصرات و الرموز

المختصرات و الرموز

الكلمة	الرمز
جمع	جم
تحقيق	تح
مراجعة	مرا
تقديم	تق
ترجمة	تر
تعريب	تع
طبعة	ط
المجلد	مج
الجزء	ج
الحلقة	ح
مصححة	مص
توفي	ت
القرن	ق
دون دار الطبع	د. د. ط
دون تاريخ الطبع	د.ت. ط
دون مكان الطبع	د. م. ط
مخطوط	مخ

هجري	**هـ**
العدد	ع

تهذيب	**ته**
تخريج	**تخ**
إبحار	**إب**

المختصرات الأجنبية

الرمز	الكلمة
S.N. A	SANS NON L'AUTEU
P	PAGE
OP.CIT	OPUS CITATUM
N	Numéro

مقدمة

مقدمة

يُعتبر تاريخ الجزائر الحديث فترةً مهمةً للدراسة والبحث، وذلك لغناه بالأحداث الهامة، بحيث دخلت الجزائر خلال هذه المرحلة تحت ظلّ الإمبراطورية العثمانية، ومنها عرفت تطوّرات مختلفة تركت بصماتها العميقة في جلّ مجالاتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، مما يجعلها ميداناً خصباً للبحث والدراسة.

ولعلّ أهمّ ما يُستحقّ الدراسة هو التركيبة الاجتماعية في الجزائر إبان التواجد العثماني، في إطارها الزماني الممتدّ منذ بداية الدخول العثماني إلى الجزائر إلى غاية الاحتلال الفرنسي، أي من سنة 1520م إلى 1830م، وقد قسمت الدراسات التاريخية المجتمع الجزائري إلى فئات وشرائح اجتماعية مختلفة من بدوٍ وحضر.

إنّ بلد مزاب الواقعة في الجنوب الجزائري، التي سكنها بنو مصعب أول الأمر، كانت ملاذاً للإباضيين الفارّين من بطش العبيديين، حيث استقروا حيناً من الدهر في وارجلان وسدراتة قبل انتقالهم إلى مزاب. ففي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وبعدما تهيأت الظروف للساكنة، شيّدوا نمطاً عمرانياً يتماشى مع المعطيات المناخية للمنطقة، تحوّل مع الزمن إلى سبع حواضر لها أهمية بالغة في النواحي الحياتية للدولة.

أضاف لها هذا التحوّل صرحاً حضارياً ساهم في صنع تاريخ المنطقة، رغم انعزالها وصعوبة طبيعتها، فكان في مقدّمة هذا الصرح ظهور نظام حلقة العزّابة الذي أرسى الجديد، وكان له الدور في إيصال صوت المجتمع الإباضي عهوداً طويلة.

وفي هذا السياق العام برز المجتمع المزابي ككيانٍ اجتماعيٍّ متميّز، نظراً لتاريخه وحياته المليئة بالتجارب الاجتماعية الغنية، والتقاليد العريقة، والممارسات المتنوعة التي جمعت بين الالتزام الديني والتنظيم العرفي، من خلال مؤسساته العرفية التي تسعى دوماً إلى حماية استقراره وبنيته. وقد انعكس ذلك بوضوح في ما ارتبط به من عاداتٍ وتقاليدٍ وممارساتٍ يوميةٍ في الزواج والمآتم والجنائز والمواسم الدينية والزيارات الجماعية، وحتى في الجانب العمراني من حيث هندسته القائمة على البساطة والوظيفية.

وعليه، جاء موضوع هذا البحث بعنوان:

"الحياة الاجتماعية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين 16 - 19 الميلاديين"

وبناءً على ما قُدِّم، يثور التساؤل الرئيسي للإشكالية:

كيف يمكن إبراز ملامح الحياة الاجتماعية في وادي مزاب خلال الفترة الحديثة (القرنين 16 - 19م)؟ وكيف تجلّت من خلال البنية الأسرية والجماعية، والعادات، والتقاليد، والنسيج العمراني، ودور المؤسسة الدينية في تجسيد استمرارية هذه القيم الاجتماعية الجماعية؟

وبالنظر إلى أهمية هذا العنصر، خصّصنا له هذه الدراسة الموسومة بـ:

"الحياة الاجتماعية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين 16 - 19 الميلاديين".

وانطلاقاً من هذه الإشكالية الرئيسية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

1 ـ ما هو الإطار المفاهيمي لحلقة العزّابة والهيئات التابعة لها: نشأةً، وتسميةً، ودوراً؟

2 ـ كيف أثّر الموقع الجغرافي وخصوصيته على الحياة الاجتماعية والاقتصادية؟

3 ـ إلى أيّ حدٍّ تجسّدت هذه العادات والتقاليد في وادي مزاب استجابةً للبيئة الصحراوية، وفي الوقت نفسه التزاماً بالمرجعية الإباضية في بناء الهوية والتنظيم الاجتماعي؟

4 ـ كيف يكون اللباس عند وادي مزاب؟

5 ـ إلى أيّ مدى كانت المرأة المزابية فاعلاً في الحفاظ على القيم والتماسك الأسري في ظل المرجعية الإباضية؟

6 ـ إلى أيّ مدى يُترجم التنظيم العمراني الميزابي هذه الخصوصية الاجتماعية؟

7 ـ ما أثر النشاط الاقتصادي (تجارة، فلاحة، صناعة، حرف) على الحياة الاجتماعية؟

فرضيات الدراسة

للإجابة على التساؤلات السابقة يمكننا وضع الفرضيات التالية:

1 ـ الهرم الاجتماعي في وادي مزاب أنتج نموذجاً فريداً لسلطة الجماعة، قائمةً على الشورى والانضباط، عوضاً عن الحكم الفردي.

2 ـ البيئة الصحراوية لم تكن عائقاً، بل أنتجت عقليةَ التأقلم مع المناخ القاسي، تقوم على الصبر، والتقشف، والبحث عن الحلول الجماعية بدل الفردية.

3ـ المآتم والأعراس، مثلاً، كرّست فكرة أنّ للفرد جزءاً من الجماعة في الحياة والممات، وأنّ التضامن يتجاوز حدود المكان والزمان.

4- اللباس التقليدي جاء بسيطاً وفضفاضاً انسجاماً مع التعاليم الدينية ومتطلّبات المناخ الحار.
5- المرأة في وادي مزاب لم تكن مجرد عنصرٍ تابعٍ للبنية الاجتماعية وناقلةٍ للذاكرة، بل مثّلت بنفسها الضامنةَ الخفيةَ لاستمرارية النسق الديني والقيمي، إذ أسهمت عبر التنشئة والتعليم غير الرسمي وحماية الخصوصية في صمود المجتمع أمام كلّ تحوّلٍ تاريخيٍّ كان.
6- غياب المظاهر والزخارف في العمران يعكس الرفضَ للبذخ، والحرصَ على المساواة بين أفراد المجتمع.
7- الحرف التقليدية كانت استراتيجيةً للبقاء والاستقلال الاقتصادي أكثر من كونها مجرد مهنةٍ معيشية.

❖ أسباب اختيار الموضوع

تمّ اختيار الموضوع بناءً على الأسباب التالية:

أولاً: الأسباب الذاتية

- ❖ الإيمان بأهمية التاريخ المحلي في تشكيل الهوية الوطنية؛ إذ أؤمن أنّ دراسة المجتمعات الصحراوية المحلية بتفاصيلها، مثل وادي مزاب، قد تساهم في إعادة الاعتبار للذاكرة الجماعية وتعزيز الشعور بالانتماء التاريخي والحضاري.
- ❖ الرغبة في خوض رحلتي البحثية في الميدان الاجتماعي خلال فترة التواجد العثماني في الجزائر، وخاصة في وادي مزاب، إذ نظرتُ إليه على أنّه لم يحظَ باهتمامٍ كبيرٍ من قِبل الكُتّاب والباحثين. وهذا لا يعني انعدام الدراسات، ولكنها قليلة مقارنةً بالدراسات التي تناولت وادي مزاب خلال فترة التواجد الاستعماري الفرنسي.
- ❖ إضافةً إلى ذلك، فإنّ تشجيع أستاذ المادة، ولا سيّما الأستاذ المشرف، جعلني أخوض في هذا الموضوع الصعب في **توسّعاته** - لأنني أراه موضوعاً يصلح لأطروحة دكتوراه -، والشيّق في الوقت نفسه.

ثانياً: الأسباب الموضوعية

- ❖ مساهمة هذه الدراسة في سدّ الفراغ المعرفي ضمن حقل التاريخ الاجتماعي للجزائر الحديثة.
- ❖ إمكانية أن تساهم هذه الدراسة في فتح آفاقٍ جديدةٍ للباحثين في التاريخ الاجتماعي المحلي والمقارن، خلال هذه المدة الزمنية الطويلة (ثلاثة قرون)، بين فتراتٍ مختلفةٍ داخل نفس المجتمع، ممّا يقوّي الجانب التحليلي والموضوعي.
- ❖ تكريس تصنيف منطقة سهل وادي مزاب، الغنية بتاريخها وحضارتها "الذكية" وعاداتها الاجتماعية، إلى جهود الأسلاف الذين تمكنوا من مواجهة ظروف المنطقة، المصنّفة ضمن لائحة التراث العالمي الإنساني لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) سنة 1982م بغرداية.

أهمية الدراسة

تكتسي هذه الدراسة أهميةً بالغةً تتجلّى في النقاط التالية:

- تعريفها بإحدى فئات التركيبة السكانية للجزائر عامةً، وبعاداتها وتقاليدها الاجتماعية خاصةً، خلال العهد العثماني، ومدى فعالية تلك العادات والتقاليد.
- مساعدة كل من أراد الغوص في وعاء المعلوماتية لمؤسسة العزّابة، ودورها في حفظ التوازن بين البعد الديني والاجتماعي.
- رصد الأنشطة التجارية لبني مزاب في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، ودورهم الاقتصادي كوسطاء فاعلين في تنشيط التجارة الحضرية، وربط الجنوب الجزائري بالعاصمة عبر شبكة تبادلاتٍ واسعة.

أهداف الدراسة

لقد وضعنا مجموعةً من الأهداف التي نحاول من خلالها الوصول إلى حقائق تاريخية من أجل بناء تصورٍ كامل، وكان أهمّها:

- تساهم هذه الدراسة في إغناء المكتبة التاريخية الجزائرية بمادةٍ علميةٍ تتعلّق خاصةً بحياة الناس اليومية، مما يقرّب التاريخ من الواقع المعيش، ويُظهر وجهه الإنساني والمجتمعي.
- إبراز العادات والتقاليد التي توحي بروح الجماعة في شكل التعاون والتآزر والأخوة، وتتجلّى في الأعراس والمقابر وموسم الزيارة ومؤتمر "لا إله إلا الله."
- تقديم نموذجٍ من المجتمع الجزائري على الصعيد الاجتماعي بشكلٍ وصفيٍّ تفصيليٍّ في صورةٍ عمليةٍ واقعيةٍ لا تزال مجسّدةً إلى حدّ الآن، من خلال الانسجام والانصهار بين مقوّمات الشعب الجزائري في إسلامه وأمازيغيّته وعروبيّته وتقاليده وأصالته.
- إلقاء الضوء على نهج العيش داخل الأسرة والعشيرة في تلك الحقبة، وإسهامات المرأة في تنمية الاقتصاد والفكر والتنشئة.
- إبراز الأنشطة الاقتصادية التي تميّزت بها المنطقة، وعملت عليها في الفترة الممتدة من القرن العاشر هـ / السادس عشر م إلى القرن الثالث عشر هـ / التاسع عشر م.
- مواصلة البحث العميق في الأنظمة العرفية القديمة للمجتمعات المحلية التي تزخر بها الجزائر، على غرار المجتمع المزابي، والاستفادة منها في مسألة الضبط الاجتماعي.

حدود الدراسة:

أ / الإطار المكاني:

بالنسبة للحيز المكاني في هذه الدراسة، فهو وادي مزاب، وهو إقليم يقع في شمال الصحراء الجزائرية، ضمن ولاية غرداية حالياً، ويتكوّن من مجموعةٍ من القصور (المدن التقليدية)، أبرزها: غرداية، بن يزقن، مليكة، العطف، بنورة، القرارة.

ب / الإطار الزماني:

فموضوع الدراسة اقتصر في إطاره الزماني على الفترة الممتدة من 1518م إلى 1830م، أي من 925هـ إلى 1246هـ، وهي مدة أربعة قرون، تمثّل بداية الحكم العثماني في الجزائر ونهايته.

منهج الدراسة:

استدللت طبيعة الموضوع على اعتماد المنهج التاريخي لدراسة هذه الحياة الاجتماعية، فهو من المناهج الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها بحكم التخصّص وطبيعة الموضوع المتعلّق بالماضي.

كما استعنتُ بالمنهج الوصفي في معالجة بعض جوانب الدراسة، لاسيّما عند تقديم صورةٍ مفصّلةٍ لخصائص الحياة اليومية والعادات الاجتماعية والمعمارية في وادي مزاب.

ويُعدّ هذا المنهج ضرورياً لرصد ملامح الواقع الاجتماعي كما وردت في المصادر، وذلك من أجل بناء قاعدةٍ معرفيةٍ وصفيةٍ تمهّد للتحليل التاريخي الأعمق، دون تدخّلٍ في تفسير الأحداث أو تأويلها.

الصعوبات:

وكما هو الحال في أيّ بحثٍ علميّ، لا يخلو العمل من الصعوبات والتحدّيات التي تعترض سبيل الباحث، ومنها:

قابلتني صعوبة في وصف كثرة العادات بتفاصيلها داخل عادة واحدة، مثال **العرس**، لذلك قمت بالميل نسبيًا إلى الوصف العام.

- نقص بعض الوثائق الأرشيفية المتعلقة بالحياة الاجتماعية لوادي مزاب، خاصة في الفترة المدروسة، كالعادات والتقاليد والعوائد الخاصة بها، وصعوبة محاولة استنطاقها واستخراج المعلومات منها.
- ومن الصعوبات التي اعترضتني فقدان الوصول إلى حسابي الشخصي الذي حفظت فيه جزءًا كبيرًا من عملي، إذ تعذّر عليَّ فتحه رغم محاولاتي المتكررة واستعانتي ببعض المختصين في مجال الإعلام الآلي، مما استغرق وقتًا طويلًا حال دون تسليمي لها في الآجال المحددة، وبالتالي فوت عليَّ فرصة المناقشة في دورة جوان الأخيرة، وأجبرني على إعادة الكتابة من جديد في ظل ضيق الآجال المحددة لتسليمه.
- قلّة المصادر والدراسات السابقة التي تسعى إلى إبراز دور المرأة والعشيرة ومجلس العزابة، وهي مكوّنات قلّما حظيت بتحليل شامل في الدراسات التاريخية، رغم تأثيرها العميق في رسم ملامح الحياة المزابية.

•وقد تقيدنا في كل مراحل الإنجاز بالأمانة العلمية والموضوعية التاريخية، وعسى أن تنال هذه الدراسة العلمية المتواضعة رضا أساتذتنا، وأن تكون لبنةً في المكتبة التاريخية بالجزائر عمومًا. وفي مجمل القول، لا يوجد بحث بدون صعوبات، وبالرغم من ذلك حاولنا أن نبذل جهدنا في إنجاز هذه المذكرة التي نرجو أن تكون بتوفيق من الله، وإن أخطأت فمنّي، وتلك هي سُنّة البشر.

خطة الدراسة:

للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، اعتمدت على خطةٍ منهجيةٍ متكاملةٍ انطلقت من **المقدمة**، تناولت فيها تمهيدًا بسيطًا حول موضوعنا، ثم **إشكالية الموضوع** المعالج، وذكرت بعض **الدوافع** التي دفعتني لاختياره، ثم **الأهداف**، وبعدها تطرقنا إلى طرح **الإشكالية العامة** لموضوعنا، بالإضافة إلى عرض **المصادر والمراجع** التي اعتمدت عليها في موضوعنا، وذكر بعض **الصعوبات** التي واجهتني طيلة فترة البحث.
ثم شُكِّلت أربعة فصول، يحمل كلٌّ منها عنوانه ومباحثه، وفي الختام تضمنت **نتائج الدراسة** و**قائمةً من الملاحق** و**قائمة المصادر والمراجع**، ثم **جدول المحتويات**.

تناولتُ في **الفصل الأول**، والذي يُعتبر تمهيديًا، وعنونته بـ **"الهرم الاجتماعي لوادي مزاب"**، والذي اندرجت تحته ثلاثة مباحث، وكل مبحث احتوى على عدة عناصر:

المبحث الأول :البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب، وقد قمت فيه بالتعرّف على الموقع الجغرافي والفلكي للمنطقة، بالإضافة إلى الجانب الحضاري والتاريخي لوادي مزاب.

المبحث الثاني :حلقة العزابة والهيئات المرتبطة بها، حيث قمتُ بالتعريف بكل إطار تنظيمي في الهرم، بدايةً من حلقة العزابة باعتبارها قمة رأس الهرم الاجتماعي، لما لها من مشروعية مرجعية عليا تُسَيّر وتوجّه هيئاتها الفرعية، وهي: (هيئة إيروان ـ هيئة إمصوردان ـ هيئة تيمسيريدين ـ العشيرة ـ الأسرة).

المبحث الثالث :العشيرة والأسرة، وقد قمتُ بتعريفهما كقاعدة أولى من خلال كونهما تجمعًا لأسرٍ مرتبطة بالقرابة والانتماء، توفّر الحماية والتضامن والمساندة للفرد، أما الثانية فتمثل الخلية الأساسية في المجتمع، قائمةً على الزواج والقرابة، ومسؤولةً عن التربية والتنشئة الصحيحة.

أما **الفصل الثاني**، فحمل عنوان **"عادات وتقاليد اجتماعية"**، واندَرَج منه أربعة مباحث، وكل مبحث احتوى على عدة عناصر:

المبحث الأول :الزواج والمهر، ولم يكن مجرد حدث فردي يخص الزوجين، بل منظومة متكاملة تُجسد التداخل بين الديني والاجتماعي والاقتصادي.

المبحث الثاني :مراسم المآتم والجنائز، حيث بيّنتُ فيه تفاصيل حقّ الميت والدفن، وتنظيم الجنازة، والالتزام بالأعراف فيها.

المبحث الثالث :موسم الزيارة، وصفتُ وشرحتُ فيه الزيارة وما يُقام فيها من مراسم، والأهداف المستخلصة منها.

المبحث الرابع :مؤتمر "لا إله إلا الله"، تناولتُ فيه الشرح والوصف والفوائد الناتجة عنه.

أما **الفصل الثالث**، فعنوانه **"الحياة اليومية لوادي مزاب."**

الدراسات السابقة:
المنهج المتّبع في الدراسة:

استدللتُ طبيعة الموضوع لدراسة وتوثيق هذه **الحياة الاجتماعية** على **المنهج التاريخي**، فهو من المناهج الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها بحكم التخصص وطبيعة الموضوع وتعلقه بالماضي.
ـ كما استعنتُ **بالمنهج الوصفي** في معالجة بعض جوانب الدراسة، لاسيما عند تقديم صورة مفصّلة لخصائص الحياة اليومية والعادات الاجتماعية والمعمارية في وادي مزاب. ويُعد هذا المنهج ضروريًا لرصد ملامح الواقع الاجتماعي كما وردت في المصادر، وذلك من أجل بناء قاعدة معرفية وصفية تمهّد للتحليل التاريخي العميق، دون تدخّل في تفسير الأحداث أو تأويلها.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:
اعتمدتُ في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة، التي ساهمت في معالجة محاور هذه الدراسة، ونذكر من أهمها:

أولًا: المصادر

1.المصادر العربية:

1. كتاب *طبقات المشائخ بالمغرب* للدرجيني أبي العباس، ويُعدّ من أهم المصادر الإباضية في معرفة نظام وسير حلقة العزابة.
2. كما اعتمدتُ أيضًا على كتاب *نهضة الجزائر وثورتها المباركة*، وكتاب *المغرب الكبير ج1* لمحمد علي دبوز، حيث ساعداني في التعرف على منطقة بني مزاب أكثر، وعلى أصل سكانها ومذهبهم.
3. كتاب *شرح النيل وشفاء العليل* (ج2 - ج8)، أفادني في فهم الأسس الدينية التي قامت عليها نظم المجتمع الميزابي، خاصة فيما يتعلق بالجنائز والمآتم وعيوب اللباس، إذ يوضح أسس التشريعات والتنظيمات الاجتماعية لدى الميزابيين.
4. كتاب *الإباضية في كوكب التاريخ* لعلي يحيى معمر، يشرح دور العزابة في التجسيد العملي لمبدأ الشورى في الفكر الإباضي، واعتبارهم العمود الفقري للتنظيم الاجتماعي، كما أوضح لي دور نظام الحراسة "إمصوردان."
5. كتاب *السير* للشماخي أحمد بن سعيد أبو العباس، تناول فيه سير مشايخ الإباضية منذ ظهور المذهب الإباضي، وساعدني في الاطلاع على المذهب الإباضي وأهم الأعلام الإباضية.
6. الكتابان *هذه هي الجزائر* و*القطر الجزائري* للمدني أحمد توفيق، ساعداني في معرفة الموقع الجغرافي لمنطقة وادي مزاب وتاريخ تأسيسها. كما يُعد كتابه الوصفي *الجزائر*

إلى يومنا هذا من المراجع المهمة في إبراز تنوّع المجتمع الجزائري، وبالتالي ساعدني في معرفة قيم المجتمع وتنظيماته التعاونية.

7. كتاب *دور الميزابيين في التاريخ الجزائري قديمًا وحديثًا* للشيخ حمو بن عيسى النوري، ساعدني في توضيح أسس التجارة وشبكاتها في المدن الجزائرية والخارج، مثل تونس وطرابلس، وطبيعة علاقة الميزابيين بالسلطة العثمانية.

8. كتاب *تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية* للمؤلف يوسف بن بكير الحاج سعيد، ويُعد من أشمل الكتب دراسةً، إذ تناول تاريخ بني مزاب (اجتماعيًا، اقتصاديًا، سياسيًا، ثقافيًا) مبيّنًا خصوصيته في التنظيم الذاتي والتكافلي في خضم التحولات التاريخية الكبرى التي عرفتها الجزائر.

9. كتاب *وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية: دينيًا ـ تاريخيًا ـ اجتماعيًا* للأستاذ عوشت بكير بن سعيد، بيّن فيه كيف أن وادي مزاب ليس معزولًا عن العالم، بل جزء من منظومة حضارية واسعة، كما أوضح النظام الاقتصادي للمجتمع المبني على التضامن والتكافل.

10. كتاب عوض محمد خليفات *النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان*، ذكر فيه شروط العضوية في حلقة العزابة.

بفضل *معجم المصطلحات الإباضية* فقد ساعدني كثيرًا في الاستناد إلى مصدر علمي معتمد لتفسير المصطلحات في سياقها الصحيح بدل الاكتفاء بالشرح الشخصي. ولا ننسى *معجم أعلام الإباضية* باعتباره موسوعة مرجعية تراجمية وفّرت لي معلومات دقيقة عن الشخصيات الميزابية والإباضية التي ساهمت في بناء المجتمع وتنظيمه.

أما ما يتعلق بأهم مصادر البحث، فقد كانت البداية من الجزائر ـ غرداية ـ حيث كانت مكتبة أو جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث وحفظ الأرشيف بغرداية في مقدمة ما أفادني من المادة الوثائقية للدراسة، وهي تجمع بين وثائق أصلية ومصوّرة من الأصل، استُقدمت من مراكز مختلفة في الجزائر، أو من أرصدة متعددة لمكتبات أشخاص أو هيئات عرفية أو رسمية، ومن مضامين الخزائن والمكتبات الخاصة التي لا يخلو منها قصر من قصور مزاب.

الدراسات السابقة:

لقد وُجدت اجتهادات سابقة لموضوع دراستي، ومن أهم تلك الدراسات نذكر على رأسها رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث للأستاذ الدكتور ناصر بلحاج، بعنوان *النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)*، وقد استأنست بها في دراستي في الفصل التمهيدي لمعرفة ترتيب سلم الهرم الاجتماعي من حيث المهام، وفي الفصلين الثاني والثالث لمعرفة وتوضيح أمثلة حول تقاليد المنطقة من خلال طرحه التفصيلي للأنظمة والقواعد التنظيمية، المكتوبة وغير المكتوبة، لتنظيم شؤون الحياة اليومية والسنوية.

كما استفدت من مذكرة الطالب منير الشيخ يحمد (ماستر التاريخ الحديث والمعاصر) بعنوان *جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة وادي مزاب خلال القرن 13هـ / 19م.*

المجلات:

1. مقالة بعنوان *الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث* للكاتب بوراس يحيى بن عيسى، استعنت بها لمعرفة المظاهر الثقافية المادية وغير المادية، ومن بينها العمران والمعمارية.
2. بحث بلحاج معروف *العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب من خلال بعض النماذج*، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (2002)، أعطاني الصورة الصحيحة التي امتازت بها العمارة الدينية في وادي مزاب، والتي اتّسمت بالبساطة.

.2المصادر الأجنبية:

أما عن المصادر الأجنبية، فنذكر منها:

1. **Charles Amat**: *Le Mzab et les Mozabites*, Paris, Challamel .

يوثّق هذا الكتاب بدقة المجتمع المزابي في القرن الـ19 من منظور أنثروبولوجي (اجتماعي ـ تاريخي)، وهو مرجع مهم للبحث؛ لأنه يصف بدقّة تفاصيل الحياة اليومية والتنظيم السياسي، والعمران المميّز للقصور.

الفصل الأول

الفصل الأول: الهرم الاجتماعي لوادي مزاب

- تمهيد
- المبحث الأول: البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب
- المبحث الثاني: حلقة العزابة والهيئات المرتبطة بها
- المبحث الثالث: العشيرة والأسرة
- خلاصة الفصل

تمهيد:

يُعدّ المحيط الاجتماعي الإطار الذي تتشكّل ضمنه البنية العميقة لأيّ مجتمع، إذ تتقاطع فيه العوامل الجغرافية، والمؤسسات التنظيمية، والروابط الاجتماعية، لتمنح كلّ مجتمع خصوصيّته وتوازنه.

وفي هذا السياق يبرز وادي مزاب بوصفه مجتمعًا تقليديًا حافظ على تماسكه وهويّته رغم التحدّيات البيئية والتحوّلات التاريخية. غير أنّ فهم هذا التماسك لا يتحقّق من خلال المعاينة السطحية، بل يتطلّب التعمّق في خصوصيّات البيئة الطبيعية التي احتضنت هذا المجتمع، والوقوف عند المؤسّسات التي نظّمت حياته، وفي مقدّمتها حلقة العزّابة، إلى جانب البُنى العشائرية والجماعية التي لعبت دورًا أساسيًا في ضبط العلاقات الاجتماعية.

وسأستعرض الموضوع من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

كيف ساهمت العوامل الطبيعية والمؤسسات الاجتماعية التقليدية، كحلقة العزّابة والعشيرة، في بناء وحفظ البنية الهرمية لمجتمع وادي مزاب خلال الفترة الحديثة؟

المبحث الأول :البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب

المبحث الثاني :حلقة العزّابة والهيئات المرتبطة بها

المبحث الثالث :العشيرة والأسرة

المبحث الأول: البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب

المطلب الأول: الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي مزاب

أ/ الموقع الجغرافي والفلكي

تقع منطقة وادي مزاب في جنوب الجزائر، في شمال الصحراء، وهي تفصل الصحراء عن العرق الغربي الكبير، مكوّنةً من سلسلة مرتفعات جبلية تنتهي جوانبها بمنحدرات شديدة الوعورة[1].

مساحتها الإجمالية تبلغ حوالي 8000 كلم²، إذ يحدّها شمالًا وادي بوزبير، وغربًا وادي زرقون، وتمتد شرقًا فتشمل زلفانة والقرارة، ويحاذيها جنوبًا بلاد الشعانبة[2].

[3]وعلى ضفاف الوادي أُنشئت القصور الخمس، وهي: العطف، بنورة، غرداية، بني يزقن، ومليكة، إضافةً إلى قصري بريان والقرارة، وعاصمتها حاليًا هي ولاية غرداية.

[4]وتنحصر بين دائرتي عرض 32° و33.20° شمالًا، وبين خطّي طول 3° و4° شرقًا، ويمتد طولها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حوالي 100 كلم.

أما عن ارتفاعها عن مستوى سطح البحر، فنجد أنه يبلغ حوالي 800 م في الجهة الشمالية الغربية للمنطقة، وهي تقريبًا جنوب حاسي الرمل، بينما يقلّ ارتفاعها كلّما اتجهنا جنوبًا ليبلغ حوالي 300 م عن مستوى سطح البحر في أقصى الجنوب الشرقي[5].

يستمدّ وادي مزاب مياهه عند السيلان من أودية لعذيرة، ولبيض، والتوزوز، حيث ترتوي واحات غرداية ومليكة، ويستمرّ ليلتقي بمياه وادي انتيسة بعد أن يسقي واحات بني يزقن.

وبنفس نقطة التقاء وادي انتيسة بوادي مزاب تقريبًا، يتصل بوادي مزاب من الشمال الشرقي وادي آزويل الذي يسقي جزءًا هامًا من واحات بنورة، ومن ثمّ يستأنف مجراه متجهًا نحو واحة قصر العطف مرورًا بزلفانة، ليصبّ في منخفض الهيشة (سبخة سيفون) على بعد 16 كلم عن أنفوسة.

---

[1] بوز محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، عالم المعرفة، ج1، ط2، الجزائر، 2013م، ص54

[2] الحاج موسى بن عمر: **القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام مزاب 1902م . 1962م**، أطروحة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.د شاوش حباسي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007 . 2008م، ص14.

[3] ينظر الملحق رقم:01

[4] ينظر الملحق رقم :02

[5]Charles Amat : **Le M'zab et les mozabites**, Paris,1888, p43

عرفت منطقة وادي مزاب في الكتب التاريخية كذلك ببلاد الشبكة، ونخص بالذكر من هؤلاء البربر سكان الشبكة (وادي ميزاب)، وهي تسمية جغرافية، ومردّ ذلك أنّ صخور المنطقة ذات الطبيعة الكلسية الصلبة تعرّضت عبر الأزمنة الجيولوجية إلى عملية حتٍّ، نتج عنها عدد كبير من الوديان المتشابكة، وهو ما أعطاها اسم "الشبكة."

أما عن جيولوجيا وادي مزاب، فيرى الجيولوجيون أنّ شبكة وادي مزاب يعود عهدها إلى العصر الطباشيري الذي يُقدَّر بحوالي سبعين مليون سنة، ويتميّز هذا العصر بفيضانات مياه البحار على الأراضي اليابسة، مما نتج عنه بروز الطباشير البيضاء المترسّبة وظهور السرطانات البحرية والنباتات الزهرية.

ولعلّ هذه الحقيقة الجيولوجية نلاحظها جليّة في شبكة وادي مزاب، لاسيما في الجهة الغربية، إذ نجد سلسلةً من الجبال الطباشيرية.

ب/ المناخ

تتّصف منطقة وادي مزاب، بشكل عام، مثل غيرها من المناطق الصحراوية، بمناخٍ جافّ وحرارةٍ مرتفعة تصل إلى خمسين درجة مئوية أو أكثر في فصل الصيف، وبالبرودة الشديدة في فصل الشتاء حيث تنخفض الحرارة إلى درجة أو درجتين تحت الصفر. لذلك فإنّ الأمطار تكون محدودة، وغير منتظمة، إذ تصل كميّة التساقط إلى حوالي 103.7ملم في السنة[1].

وقد انعكست هذه الوضعية على الأودية، فكانت تجفّ لسنوات طويلة ثم تسيل فجأة، خاصةً عند ارتواء طبقة المياه الجوفية، فتغلب سرعة تدفّق المياه على سرعة التبخّر والامتصاص من الأرض.

ووفقًا لما ذكره موتيلانسكي في الإحصائيات المتوفرة لديه عن سيلان وادي مزاب، يقول:

"في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1728 و1882 لم تُسجَّل سوى 12 حملة لوادي مزاب، أي بمعدل مرة واحدة كل 12 سنة".

وبالتالي تصاب المنطقة بموجات جفاف حادّة، مثلما حدث في السنوات 1868م، 1920م، و1944م.

كما تسود المنطقة، كغيرها من المناطق الصحراوية، نباتات قصيرة كثيرة الأشواك وطويلة

[6] ناصر بالحاج: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، ص297

الجذور، كالحشائش مثل :السدر، الشبح، القرطوفة، النجم، إضافةً إلى شجرة البطم، فضلًا عن النخلة وغيرها من النباتات التي تتكيّف مع الجفاف.

من **الأشجار المثمرة** فهي من النباتات التي بذل الإنسانُ مجهودًا معتبرًا لتتأقلم مع ظروف المنطقة.

أمّا فيما يخصّ **ظاهرة الرياح**، فإنّ الإنسان إذا عاد لملاحظتها فسيلاحظ أنّها **رياح رملية شمالية وشمالية غربية** في فصل الشتاء، عادةً ما تكون محمّلة بالرطوبة ومصحوبة بهطول المطر[1]، أمّا في فصل الصيف فتهبّ **رياح الجنوب والجنوب الشرقي**، وتكون حارّة جدًّا، وهي من نوع **السيروكو** (الشهيلي)، إضافةً إلى **الرياح الشرقية والشمالية الشرقية**، وهي رملية، ويُقدَّر **معدل هبوبها بنحو عشرين يومًا في السنة**[2].

المطلب الثاني : الجانب الحضاري والتاريخي لمنطقة وادي مزاب

يُعَدّ وادي مزاب نموذجًا حيًّا للتكامل بين الجوانب التاريخية والحضارية في شمال إفريقيا، حيث حافظت المنطقة على **هويتها الثقافية والاجتماعية** رغم التغيرات السياسية الكبرى.
فعلى **المستوى التاريخي**، ورغم تأثر وادي مزاب بالسلطة العثمانية التي سيطرت على الجزائر في القرن السادس عشر الميلادي، إلا أنّ المنطقة احتفظت **بنظامٍ إداريٍ مستقلّ** من خلال **مجلس العزّابة**، مما سمح للمجتمع المزابي بتنظيم شؤونه الدينية والاجتماعية بشكلٍ ذاتي.

أمّا من **الناحية الحضارية**، فقد تميّزت **العمارة المزابية** بتصميماتها المتناغمة مع البيئة الصحراوية، حيث تمّ بناء القصور والقرى باستخدام **تقنياتٍ فعّالة** تحافظ على الاستقرار في ظلّ الظروف المناخية القاسية.

وعلى **المستوى الاقتصادي**، اعتمد وادي مزاب على **الزراعة والريّ التقليدي**[3] عبر نظام **الفقّارة**،[4] مما سهّل استدامة الإنتاج الزراعي، خصوصًا في مجال **زراعة التمور**.

لقد تمكّنت **الأمّة المزابية**، بقدرٍ كبير من **الحكمة والحنكة**، من التأقلم مع الظروف والمتغيّرات المختلفة في محيطٍ بيئيٍّ صعب، مما أسهم في **الحفاظ على استمرار الحياة الاجتماعية** من خلال **تنظيم العلاقات بين الأفراد**.

---

[1] عزب خالد: **السياسة الشرعية وفقه العمارة، الحدود الفاصلة والمشتركة**، مجلة وحدة الدراسات المستقبلية (14) الإسكندرية 2013م، ص07.

[2] عمر زعابة: **آليات وطرق حفظ وتسيير تراث المبني في وادي مزاب**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، الجزائر، 2016، ص ص 65 . 66.

Zab.Alger : I.A.C.E. P,1922, ‘Mercie : **M**, **La civilisation urbaine au M²** .P.27

[3] انظر الملحق رقم: 04

[4] أعوشت: وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية، ص 30.

وهو ما يثير **الاهتمام العلمي**، ويدفع إلى **التعمّق في دراسة أسس هذا التوازن الاجتماعي وسبل استمراريته**[1].

[1] أعوشت: وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية، ص 30.

المبحث الثاني: حلقة العزابة والهيئات المرتبطة بها

المطلب الأول : تعريف حلقة العزابة

1- معنى لفظة العزّابة

أ ـ لغةً«:عَزَبَ عزوبًا الشيءُ، غابَ وبَعُدَ وذهبَ وخَفِي. أي عَزَبَ يَعزُبُ . برفع الزاي . عُزُوبًا . برفع العين والزاي . فهو عازب، يُجمع على عُزّاب (برفع العين) وأعزب. استُعمل الفعل في الأصل لمن يبتعد بغنمه في البوادي من أجل المرعى، ومنها "هراوة الأعزب". ثم أُطلق على الرجل الذي يتغيب عن أهله في ماله، وعلى من لا زوجة له[1]» .

واستُعمل في القرآن الكريم مرتين بمعنى الغياب، في قوله تعالى:

﴿وما يَعْزُبُ عن ربك من مثقالِ ذرّةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ﴾،[2]

وفي قوله تعالى: ﴿لا يَعْزُبُ عنه مثقالُ ذرّةٍ في السماواتِ ولا في الأرض﴾.[3] صدق الله العظيم.

وقال في لسان العرب«:الأعزاب والعُزّاب: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، عَزَبَ يَعْزُبُ عُزوبةً، فهو عازب، وجمعه عُزّاب، والاسم العَزَابة والعُزوبة[4]» .

نلاحظ أنّ كلمة عَزَبَ تدلّ على معنى البُعد من أجل الدنيا . إمّا لرعاية الأغنام أو لطلب المال . وكذلك على معنى الغياب.

ب . اصطلاحًا:

وقد استدلّ البعض في ذلك بقول« أبي عمّار عبد الكافي:

ومن هنا (الخمسون الأولى من المائة الخامسة: القرن الحادي عشر ميلادي) ابتداءُ العزّابة.»

وقد أيّده الدرجيني أيضًا إذ قال:

«وأوّل ما استُعمل هذا اللقب (العزّابة) . العزّابة مشهورة بفتح العين . في أيّام الشيخ أبي عبد الله

---

[1] الأب لوئيس معلوف اليسوعي: **المنجد في اللغة والأعلام حرف الباء** ط5، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1931م، ص525

[2]. سورة **يونس**: الآية 61.

[3] سورة **سبأ**: الآية 3.

[4] ابن منظور (630ه - 711ه): لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، ط1، بيروت، 2006، ج10، ص 2923..

محمد بن بكر رضي الله عنه، لما أسّس الحلقة ورتّب قوانينها، في العقد الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)» .

2. معنى لفظة الحلقة:

أ . لغةً:

الحلقة: دائرة القوم، أي جماعتهم الملتفّين على شكل دائرة.

ب . اصطلاحًا:

هي «اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلّمهم العلم، ويُلقّنهم السير، ويُبصّرهم في الدين بحسب ما يفتح الله على كلّ واحدٍ منهم.«

تجد أفرادها في كافة الميادين، سواء أكان فلاحًا أو تاجرًا أو معلّمًا أو أستاذًا أو طبيبًا أو مهندسًا، فقد كانوا يمثلون مختلف فئات المجتمع المحلي بما يمكّنهم من إدارة النظام وتسيير الجماعة بفعالية، تنتج عنها رؤية تستجيب لمتطلبات المرحلة.

وعلى حسب ليفيسكي أيضًا، يرى أن الحلقة هي «مجلس ديني يجلس أفراده جنبًا إلى جنب دون ترك فراغٍ بينهم، خوفًا من وسواس الشيطان أن يفرّقهم ويزيغهم، وعلى شكل دائرة.«

1. 2 نظام حلقة العزّابة

سعى الإباضيّة بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ على يد الدولة الفاطمية، وتشتّت رعاياها في الجنوب الجزائري بين سدراتة، ورجلان، ووادي أريغ[1]، وتعرّضهم للمطاردة والإبادة من طرف العبيديين، إلى أن يضعوا نظامًا خاصًا بهم.
فكانت رغبتهم الأولى والأخيرة الحفاظ على مذهبهم والتصدي لتفشي الجهل.

نتيجةً لذلك، اختاروا من علمائهم ذوي الكفاءة العلمية والعملية والتنظيمية، فكانت البوصلة تشير إلى أبي عبد الله الفرسطائي النفوسي، فوافق على ذلك النظام وأسسَه في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

[1] أريغ: اجتماع عقده علماء الإباضية على شكل مؤتمر عام 402ه / 1012م بوادي أريغ (منطقة تقرت، شرق الجزائر حاليا) لتدارس أوضاع الإباضية من فتن وقحط وتزايد سكاني، بغرض البحث عن مكان آخر أكثر أمنا، وكان من هذا الاجتماع اختيار أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (ت: 440ه /1049م) لوادي مزاب موطنا آمنا، عرف فيه الاباضية انطلاقة جديدة. انظر: مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، سلطنة عمان ،2008م، ج1، ص28

ويُعرف بأنه هيئة دينية واجتماعية تعمل وفق ضوابط معيّنة للإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي: دينيًا، اجتماعيًا، سياسيًا، وثقافيًا وفق مبدأ الشورى.

وتحتلّ هذه الهيئة القمة في الهرم الاجتماعي عند الإباضية، وقد وضع أبو عبد الله محمد بن بكر أسس الإمامة الصغرى لمرحلة الكتمان بعد زوال الإمامة الرستمية[1].

1. 3 تشكيلتها

تتكوّن عضويتها من اثني عشر عضوًا، وهم:
الشيخ، الإمام، المؤذّن، وكيل الأوقاف، الغاسلون، العُرَفاء (أي المعلّمون)، القاضي، والبلدي.

وتُعدّ قليلة العدد، غير أنّ عدد أعضائها يرتفع حسب الحاجة والمكان والمهمة الدينية والاجتماعية[2] الشاملة للمجتمع.

1. 4 شروط عضويتها

لا يُسمح لأيّ شخصٍ بالالتحاق بحلقة العزّابة إلا إذا توفّرت فيه الشروط التالية:

- أن يكون إباضيًّا حريصًا على خدمة مذهبه وأتباعه وحفظ تراثه.
- أن يكون حافظًا لكتاب الله.
- أن يتحصّل على التعليم بمراحله من مدارس العزّابة.
- أن يكون أديبًا حسن السيرة والأخلاق.
- أن يبتعد عن المشاركة في أي فتنة أو فوضى.
- ألا يكثر من ارتياد الأسواق والأماكن العامة.
- ألا يتصف بالحقد أو التكبر، ويتصف بالزهد في الدنيا طلبًا للآخرة[3].

---

[1]

[2] حمو محمد عيسى النوري: **نبذة عن حياة الميزابيين الدينية، السياسية، العلمية**، دار الكروان، باريس، 1505هـ. 1962م، ج1، ص56.

[3] عوض محمد خليفات: **النظم الاجتماعية والتربوية عند الأباضية في افريقية في مرحلة الكتمان**، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 1980م، ص 43.

- أن يتحلّى بالقدوة الحسنة والاستقامة[1] التي أمر الله بها عز وجل.

1. 5 مهامها

تتولّد منها مهامّ مهمّة تتمثل في:

- إصلاح ذات البين.
- القضاء على الفتن التي سادت وادي مزاب في القرن السابع عشر[2].
- التنظيم الداخلي للمجتمع وحفظ كيانه.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- محاربة الآفات الاجتماعية.
- الإشراف على المناسبات كالاحتفالات والأعياد الدينية والأعراس.
- الإشراف على الأسواق وحراسة البلدة.
- الإصلاح بين العشائر المتخاصمة.
- المساهمة في دفع الديات وردّ الحقوق المغتصبة[3].

وذلك تطبيقًا لقوله تعالى:

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[4].

صدق الله العظيم.

---

[1] نفسه، ص 46/45.

[2] عبد الرحمن حجازي: **تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي**، ط1، المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت، 1421هـ/ 2000م، ص155.

[3] محمد ناصر: **حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي**، جمعية التراث، ط1، القرارة، غرداية، الجزائر، 1983م، ص31 .32.

[4] سورة **آل عمران**، الآية 104.

/ 2الهيئات والمجالس التابعة لها

أ / هيئة إِيرْوَانْ[1]:

هي منظمة أو الركيزة الثانية في الهرم الاجتماعي لوادي مزاب بعد العزّابة، وتُعتبر كالمجلس الاستشاري المساعد للعزّابة أو كمجلس النواب بالنسبة للشيوخ.

وكثيرًا ما يُسند العزّابة أعمالًا إلى مجلس إيروان لأنه يُعدّ مرحلة إعداد وتأهيل للشباب من أجل التحاقهم لاحقًا بمجلس العزّابة.

ويُشترط لاستظهار القرآن الكريم[2] شرطًا أساسيًا للدخول إلى الحلقة إيروان، فيصبح المستظهر من التلاميذ الرسميين[3].

ويعيشون من تبرعات عامة الناس ومن التحبيس الخيري، إذ يعيشون على التبرعات التي تُقدَّم من البيوت أو من وقف الحبوس. وهذه التبرعات تُعدّ نوعًا من المنح الدراسية التي يقدمها المجتمع، وليست من الزكاة.[4]

كما أنّ هناك من يُوصي للمسجد بصدقة "عشاء للطلبة: عزّابة وإيروان[5]."

ويتشكّلون من ثلاث طبقات:

الطبقة الصغرى :تضمّ الطلبة الجدد الذين لم يُكملوا سبع سنوات في حلقة العزّابة.

الطبقة الوسطى :تضمّ الذين أمضوا سبع سنوات فما فوق.

---

[1] ِ**ارْوَان:** جمع مفرده <إيرو >وهو لفظ أمازيغي يعني طالب العلم الذي حفظ القرآن الكريم وتفرغ لدراسة غالباً، ويشكل من مجموع هؤلاء الطلبة هيئة إروان. وقد اسسه الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي سنة 927هـ وحين قدم مزاب في منتصف القرن عشر للميلاد لإحياء العلم. انظر: مجموعة من الباحثين، **معجم المصطلحات الإباضية**، مرجع سابق، ص 86.

[2] اسماوي صالح بن عمر: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1986. 1987م . ص 56.

[3] علي يحي معمر: **الإباضية في كوكب التاريخ**، مص . مرا، مكتبة الضامري، ط3، سلطنة عمان، 2008م، ص 59.

[4] نفسه، ص 98.

[5]

الطبقة العليا :مجلس الكبار الذين يُسيّرون الهيئة.[1]

ب/ هيئة إِمَصُّورْدَانْ:

هي المنظمة الاجتماعية الثالثة التي تُساهم في تربية الشباب ومراقبة سلوكهم، وينخرط فيها أغلب الشباب المَزابي، لأنها تحتاج إلى بُنية سليمة لتحمّل المسؤوليات. وتتراوح أعمارهم بين (12 . 14) سنة.[2]

يُطبّق أفرادها تشريعات العزّابة المتمثلة في الحراسة ليلًا ونهارًا في القرية والغابة، بتنظيمٍ دقيقٍ ومحكمٍ في الدفاع عن المدينة، وذلك عندما كانت المدن المَزابية تتعرض باستمرار لهجمات الأعداء أو للحروب فيما بينها[3].

كما يتولّون مراقبة السلوك العام وما يتعلّق بالأخلاق والآداب وخدمة الغير، فهم عُمدة أي عملٍ تطوّعي في شكل حملات أو مناسبات خاصة، حيث يقومون بالخدمات العامة ومتطلبات المسجد والمقبرة، ويهتمّون بمراقبة كلّ غريبٍ يدخل المدينة، فإن احتاج إلى توجيهٍ أو إرشادٍ قدّموه له[4].

ويسيرون وفق مبدأ تْوِيزَا (التعاون الجماعي)، كما يقومون بقطع التمور وجمعها للمسجد، ويُعمّرونها في الأوقات الخمس للصلاة، ويجمعون الحطب من الغابات لتسخين المياه للمصلّين في فصل الشتاء، وكان هذا قديمًا عندما كانت ميضأة المسجد تحتوي على مراجل لتسخين الماء.

ويُحكى عن الشيخ بابه بن محمد من عائلة أولاد يونس بغرداية، المولود سنة 1162هـ / 1750م والمتوفى سنة 1214هـ / 1800م، وكان رئيس هيئة إِمَصُّورْدَانْ، أنّه في عهده كان من عادته ألّا ينام إلا إذا تأكّد من أنّ حالة السكان بخيرٍ ودون قلق، فيذهب فينام مطمئنًّا ناعم البال. كلّ ذلك في سبيل نيل رضى الله عز وجل والفوز بجنّة الخُلد.

---

[1] ناصر بالحاج: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، ص 42.

[2] Lewicki '**Halka**" E.I vol.3, p98.

[3] آسماوي صالح بن عمر: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، ص108.

[4] نفسه، ص 110.

ج / هيئة تِمْسِيرِدِينْ[1]:

هيئة الغاسلات، وهي هيئة دينية اجتماعية تهتمّ بشؤون النساء وأمور دينهنّ، وتخضع للسُّلَّم التنظيمي لحلقة العزّابة باتصالٍ وثيق، وتضمّ مجموعةً من النساء الصالحات (اثنتا عشرة امرأة) تتعيّن عليهنّ مسؤولة تُدعى في بعض المناطق مثل العطف« : ماما الشيخة[2]» ، ولهنّ تسمياتٌ أخرى مثل :العازبات، المرشدات، أو المجلس الديني للنساء.

لم يُعرف بداية هذا النشاط تحديدًا باليوم والساعة، لكنّه كان موجودًا في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، أي بعد تأسيس مدن مزاب، وقد ذُكر في اتفاقيات المجالس العامة لمزاب[3] سنة 811هـ / 1409م.

أ / شروط العضوية:

يُشترط في عضواتها ما يلي:

- التقوى والورع.
- العفّة والحياء.

---

[1] **تِمْسِرِيدِين**: بتاء مكسورة وميم ساكنة وسين مكسورة، وراء مكسورة، ودال مكسورة بمد وآخر اللفظ النون، وهو لفظ أمازيغي مزابي من فعل "تَسِيرَدْ" بمعنى غسلَت في العربية، وهو جمع مفرده " تَمْسِرتْ" يقابله" إِمْسيرِدَنْ" وهو جمع مفرده " أمْسيرِدْ". انظر: مجموعة من الباحثين، **معجم المصطلحات الإباضية**، مرجع سابق، ص 156..

[2] **ماما الشيخة**: ولدت في سنة 1306هـ/ 1888م الشيخة بنت ج ابراهيم بن بكير بمدينة العطف ولاية غرداية ، أبوها من أثرياء زمانه ومن تجار الكبار بقسنطينة وأمها هي :ج ابراهيم لالي بنت الناصر، اشتهرت بفصاحة الرأي والنضج الفكري حتى أصبحت محل الاستشارة الصائبة والعضد الأيمن للعشيرة والمسجد وكانت تقوم بالإصلاح ذات البين . تجيب للنساء عن الفتاوي الدينية . تقوم بمهمة القابلة عند نفاس النساء وترعاهن . وكانت ترجع للمنزل غي ساعة متأخرة من الليل بعد حضور الحلقات الجدية مع أعيان من الرجال والنساء لحل مشاكل الأنساب والميراث لقبت ب(شيخة) (اَنْ بَنْ شِيبُوضْ) أوأم الخير، توفيت 19جوان 1963م/1383هـ.انظر: بكير بن سعيد اعوشت . أحمد بن حمو كروم ، **مسلمات في روضة الإيمان** ، مطبعة العربية ، ط1، غرداية ،الجزائر ، د . س ،ص ص 111/ 113.

[3] **الاتفاقيات العامة لميزاب**: تعرف بالقوانين العرفية المكتوبة بوادي مزاب، وهي عبارة عن محاضر الجلسات التي اتفق فيها ممثلو هيئتي العزابة، فإنها كانت تدون من طرف كاتب المجلس في سجلات خاصة تعرف باسم؛ موانع الأمة؛ أو؛ موانع العامة؛ أو؛ التفتار؛ تقرأ على الناس وتفسر فقرة تلو أخرى بالميزابية أو الأمازيغية المحلية حتى يفهموا بنوده من مخالفات وعقوبات وأحكام وغير ذلك، وكانت بمثابة الجريدة الرسمية في هذا العصر. انظر: ناصر بالحاج: مرجع السابق، ص 53 . 54.

- الأخلاق الحسنة.
- الحنكة وحسن التدبير.
- الشجاعة والحكمة.

ب / مهامّها:

تهتمّ هذه الهيئة بما يلي:

- نشر الوعي الديني لدى النساء.
- محاربة البدع والآفات الاجتماعية.
- الإشراف على غسل الأموات من النساء والأطفال.
- الإشراف على تنظيمات العُرس من نفقاتٍ وصَداق[1].

ولهنّ بيتٌ خاصّ بهنّ متصل بالمسجد، وعلى هذا المنوال في كلّ القصور، ليسمعن القرآن ودروس الوعظ، ليُعدن نقلها إلى المجامع النسائية.

[1] حمو النوري: **دور الميزابيين في التاريخ الجزائري قديما وحديثا**، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015 م، ج1، ص 175.

المبحث الثالث: العشيرة والأسرة

المطلب الأول : مفهومها

/1تعريفها :هي مجموعة أسر تربط بينها قرابة الرحم ويلتقي نسبها في جد واحد[1]، إلا أن رابط الأخوة الإسلامية وروح التعاون والتآزر والحب في الله يجعل من هذه العائلات أسرة واحدة متحدة تربطها بغيرها من العشائر روابط التعارف والتكامل الاجتماعي والتعاون لما فيه الصلاح العام والتناصح في الله، بحيث "تذوب العصبية والقبلية الجاهلية"[2]، حتى إنهم وضعوا اتفاقاً على ذلك: "ومما جرى الاتفاق عليه أنه لا يحق لأية عشيرة أن تتدخل في أمور عشيرة أخرى، مثلما هو منصوص في اتفاق لحلقة عزّابة ببني يزقن مؤرخ في رجب 1198هـ – 1787م[3]."

وللعشيرة في وادي مزاب نظام محكم يقوم على الشريعة وتعاليم الإسلام السامية، وبفضل الإحكام جعلت من الفرد المزابي يعرف ما له وما عليه من حق وواجب. "كلما زادت التجمعات الشعبية ذات طابع شبابي زاد إقبال الشاب عليها لأنه يجد فيها ذاته"،[4] بحيث تؤثر على حياته بتوجيهه في قراراته، مثل سقوطه في إمارة النفس غير العمدي، مثل القتل الخطأ، بدفع دية إذا كان غير قادر على دفعها، وعكس ذلك أنها تباشره في تفاصيل فرحه في إكمال نصف الدين (العرس)، لأنه كلما زادت مساعدة العشائر لشبابها في الزواج قلت العنوسة والانحراف، وزاد بشدة مطلب عامل الضبط الاجتماعي، وتستخلف على اليتيم، وكفالة الأرامل والعجزة واليتامى والمعوزين[5]، تطبيقاً لقول الرسول ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، وفك النزاعات والخصومات بين الناس ومحاولة فرض الوساطة بينهم.

---

[1] أسامة عبد الأمير مكلف البدران: **شجرة العشيرة**، د. ت. ط، ط1، العراق، 2014م، ص 9.

[2] خالد بن عبد الرحمن الجريسي: **العصبية القبلية من منظور الإسلامي الناس كلهُم بنو آدم . وأدم من تراب**، تق: عبد الله بن سليمان بن منبع وآخرون، مؤسسة الجريسي لتوزيع والإعلان، ط1، الرياض، 1427هـ/ 2006م، تح: فتاوى كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء، ص 14.

[3] يوسف بن بكير الحاج سعيد: **الهوية المزابية أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ**، المطبعة عربية، ط1، غرداية، 2011م، ص40.

[4] خوجة عبد العزيز: **الضبط الاجتماعي ومعوقاته في التجمعات التقليدية: نظام العزابة بوادي مزاب (الجزائر)أنموذجا (دراسة سوسيو. أنثروبولوجية)**، دار نور للنشر مط دايا، ط1، غرداية، الجزائر، ،2007م، ص245.

[5] محمد ناصر: الشيخ القرادي، **الحاج أيوب بن يحيي (1923. 1989م) آثاره الفكرية** جمعية النهضة، ط2، مز. ومنق، العطف . غرداية، 2009م، ص ص 76. 77.

وحتى آيات الله تحدد العلاقة بين الفرد وأقربائه في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾[1].

ومنه استُنتج أنها ليست وحدة عرقية وحدها، وإنما هي وحدة اجتماعية تنظيمية تشبه الجمعيات والنوادي الخيرية، ولكن وظيفتها أوسع وأشمل. وقد وصفها الإمام علي رضي الله عنه في قوله: "وأكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول."[2]

بعد استعراضنا لهذه النماذج المتعلقة بالهرم الاجتماعي لوادي مزاب في الفترة الحديثة (القرن 16م/19م)، وعلى الرغم من حماية الدولة العثمانية للجزائر، حافظت المنطقة على استقلالية نسبية بها، بحيث نؤكد أن الهرم الاجتماعي لوادي مزاب كان منهجاً تربوياً واجتماعياً لتسيير حياة المسلمين، بدلاً من اعتمادهم على الأنظمة الغربية والشرقية التي غزت عقر دار الإسلام. حيث نستخلص أن هذا الهرم ذو بنية اجتماعية متماسكة ومتدرجة بوضوح، والتي لم تُبنَ على أسس مادية صِرف أو تمايز عرقي، بل نُسجت خيوطها ضمن سياق ديني ومذهبي خالص، تميز بالانتماء المُمَنهج من روح الإسلام الذي يوجه المجتمع بأسره، متمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾،[3]

وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال:

"والذي نفسي بيده لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم." [4]

بحيث يتفاعل الدين والعُرف والعقل الجماعي في نظام يربي الفرد ويوجه الجماعة ويحفظ الهوية،

---

[1] سورة **التوبة**: الآية 24.

[2] علي بن أبي طالب: **نهج البلاغة**، ش. تر محمد عبده، جم الشريف الرضي، دار المعرفة، بيروت، 1964م، ج3، ص57.

[3] سورة **آل عمران**: الآية 104.

[4] أخرجه الترمذي في السنن، وقال: ((هذا حديث حسن))، **أبواب الفتن عن الرسول الله ص**، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم :2169، ص (4/ 468)، أحمد في المسند، حديث رقم: 23301، ص (38/ 332).

وبهذا يمكن النظر إليه كمرجعية اجتماعية قابلة للدراسة، بل وإعادة التفعيل في مجتمعات تبحث عن التوازن بين القيم والواقع.

أ/ الأسرة :في وادي مزاب تُعد الأسرة النواة الأساسية التي يقوم عليها بناء المجتمع، حيث تتميز بترابطها القوي والتزامها بمبادئ الإسلام، وحملها لأدوار متعددة شملت التربية والدين، والاقتصاد، والاحترام، والتنظيم، والتكافل الاجتماعي. وقد أولتها مجلس العزابة أهمية خاصة، معتبرة إياها حجر الأساس في حفظ القيم الأخلاقية والدينية، والتنشئة القائمة على الجدّ والعمل منذ الطفولة، مما عزز دورها الاجتماعي من خلال التقيد بالتقاليد الجماعية في الزواج والمعيشة، إلى جانب دورها الاقتصادي في الحرف والزراعة والتجارة، وساهم ذلك في تحقيق الاكتفاء الذاتي والتضامن المجتمعي.

"ولقد فهم المسلمون في الصدر الأول حقيقة هذا الدين، وأدركوا شمول رسالته، فأقاموا على أسسه حياتهم الفردية ونظامهم الاجتماعي في الأسرة."

هذا ما يجعل العلاقة بين العشيرة والأسرة علاقة تكاملية ذات وجهين لعملة واحدة، وتتمثل مثلاً في: تُعطى نفقة من طرف العشيرة إلى المتزوجة لها ولأولادها بالمعروف إذا تهاون الزوج في ذلك، وحتى في حالة الطلاق، وأيضاً تُعين المبذر والمسيء التصرف في ماله حتى لا يضيع مستقبله ومستقبل أولاده، وحتى المجنون، وتُعين وكيلاً للأسرة التي يغيب عنها وليها نفقةً حتى لا تتعرض للفقر.

عشائر منطقة واد مزاب

نبذة عن المذابيح

في عهد الوليد عبد الملك الأموي و بالظبط في القرن الثاني الهجري كان فتح شمال إفريقيا بقيادة موسى بن نصير و كان الفاتحون من مختلف القبائل العربية و غيرها فمنهم الهاشميون و القحطانيون و السناسنة و الأكراد و الفرس و الأحباش و غيرهم.واما إستتب لهم الأمر واصل بعضهم المسيرة نحو الأندلس بقيادة طارق إبن زياد و بقي البعض الأخر في البلاد موزعين بين ليبيا و تونس و الجزائر و المغرب و في الجزائر لم يبقى الفاتحون كلهم في الشمال بل إنتشروا هنا و هناك بما في ذالك الجنوب و بما أن الطابع البدوي كان يميز أغلبية النازحين إاى هذه

الناحية فلم تكن لهم أنذاك مدن أو قرى بأتم معنى الكلمة لأن تنقلاتهم الكثيرة طلبا للكلأ و المكان الملائم صيفا أو شتاءا كان يحول دون ذالك[1].

المذابيح هم قبيلة عربية أصيلة يرجع نسبهم إلى عرب المعقل و الحجاز بشبه الجزيرة العربية' قدموا إلى المغرب العربي أواخرالقرن الثاني الهجري بعد أن إستوطنوا زمنا صعيد مصر ثم برقة بليبيا ثم إستقروا بنواحي المغرب الأقصى و الغرب الجزائري–تلمسان– مغنية – معسكر و بسبب الصراعات و الفتن الواقعة في ذالك الوقت نزحت جماعات منهم إلى الجنوب طابا للهدوء و الإستقرار فحل بعضهم بنواحي جبال عمور و الأبيض سيد الشيخ و المشرية و سعيدة و الأغواط و للمايةو فيجيج, ثم بعدها إنتقلت فرقةمنهم من للماية إلى منطقة الشبكة بوادي المصب –وادي ميزاب لنطقهم الصاد زاي حيث توجد حاليا مدينة غارداية و قد كانوا رحلا يسكنون الخيام و يربون المواشي و فلاحة الأرض و غرس النخيل ثم أخدوا يبنون مساكنهم بالوسائل الوجودة أنذاك كالطين و الجص و الحجارة و الجير و التقوري و خشب النخيل كما تشهد عليه عقود الملكية التي كان ينسب فيها البائع و المشتري لقبيلته و كثيرا ما تذكر عبارة المذبوحي الغرداوي الأصل مرفوقة بإسم الفرقة أي العشيرة ا –لجرايد – السباقيق – الفطح – أولاد الشيخ – أولاد امبارك –أولاد بوحميده –أولاد الهامل –وهي سبعة فرق والتي يقال لهل الرفق.[2]

أذا كان فضل في تأسيس المدينة فإنه يرجع للمذابيح و شيخهم سيدي سليمان بن يحي 477هجرية 1084–ميلادية–(سأتطرق له بالتفصيل لاحقا إن شاء الله) و أخيه أمحمد بن يحي المدفون بمقبرة أبو الجاعة سيدي بوجمعة و حاليا يقال لها بوقدمة تحريفا للتاريج كما تعودنا عليه منذ القدم ,كما قاموا بتأسيس ضاية بن ضحوة سنة 994 هجرية 1586–ميلادية و كانو من بين مؤسسي بريان 1090 هجرية 1679 ميلادية.[3]

أصل كلمة ضاية بن ضحوة:

في القرن الثامن الهجري وقع نزاع بين القبائل الجنوبيةفيما يخص مواطن الرعي و الحرث – كما هو سائد إلى يونا هذا قي بعض المناطق الرعوية– إنتهى بإتفاق شامل كان الفضل فيه لأديب هاشمي يدعى محمد بن عبد الرحمان الحوضيأي من رجال الحوض ولايزال يتمثل في عقد يحمل ذالك التاريخ حققه و أثبته بإحدى المحاكم حفيده أسماعيل بن زيان و المتخرج الأزهري

[1] الناصري، أحمد بن خالد.الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى.دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997. ص 12
[2] القزويني، زكريا.موسوعة القبائل العربية.دار الكتب العلمية، بيروت، 2008. ص 17
[3] الميلي، مبارك.تاريخ الجزائر في القديم والحديث.دار الكتاب العربي، الجزائر، 1986. ص 32

المعروف' ففي هده الفترة بالذات و بعدما حدد الضاية مجاله الجغرافي أخدوا يفكرون في الإستقرار فأنشؤا قرية صغيرة على رأس جبل في مدخل الضاية شمالا و سموه فيما بعد – كاف لقصر –أي الكهف من إطلاق الجزء و إرادة الكل و هو الجبل.

ولم يكن حول القرية سوى ضاحية فيها العشب و بعض الأشجار الغابية تتخللها أودية هي الواد الأبيض و العذيرة و الركدان من الركوض ويقال له الأن أرقدان لكن هذه القرية التي لا تفتأ أسوارها و أطلالها شاهدة عليها إلى يومنا هذا, ظلت تقاوم في صمود العوامل الطبيعية القاسية إلى أخر نفس منها الأمر الذي حدا بأهلها إاى أن يجعلوا حدا لهدا الصمود' فبذا لهم أن ينتقلوا إاى الضاحية الملاصقة بالقرية – الجهة الغربية – و طبعا كان المكان مناسبا للسكن و الزراعة و الغراسة خاصة النخيل وشئ قشئ تغير وجه المدينة بتغير أهلها بحيث أصبحوا يجمعوا ى بين التمدن و البداوة و بين الرعي و الفلاحة و أبوا إلا أن يعطوا هذه الربوع إسما و هو ضاحية بن ضحوة و هو ليس إسم أم الرجل الذي أنشأها لأن العرب قديما كانوا يتحاشون نسبة الرجل إلى أمه إذ هو حط من قيمته و الأرج إسم ضحوة هو وقت الصبيحة أي الضحى ولما إحتل الفرنسيون المنطقة 1853 نطقوا ضاية لعوبة نطقهم حرف الحاء و تبعهم في ذالك العامة ومن قائل أنها ضاية مفرد ضايات أي مستنقع أو تجمع المياه و هذا مستبعد نظرا لجغرافية الضاية[1].

أصل تسمية المذابيح

هنالك من قائل هي نسبة إاى ذبيح الفقيه محمد بن يوسف السنوسي

يروى أنه كان للشيخ يوسف طلبة كثيرون و من بينهم من فبيلة هاؤلاء و لإمتحان طاعتهم إيه و ثقتهم به' أبدى رغبته في التضحية بأحدهم, فامتنعوا إلا واحدا' وما إن دخل هدا الأخير البيت المعد لذالك حتى جعل الدم يسيل من خلال منفذ تحت الباب ,فظنه الطلبة دم الرفيق المتطوع 'وماكان في الحقيقة إلا دم خروف ذبحه الشيخ ' ولما خرج الطالب سالما صاح الطابة جميعهم خارج الدار قائلين –المذبوح حـي –المـــذبوح حـــي مع العلم بأن شجرة نسب المذابيح يرجع إلى أصل فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه و سلم و هذه الشجرة نقلت في رسم موثق و مشهود بشهادة 13 قاضيا و فقيها لا شك فيها.[2]

[1] سعد الله، أبو القاسم.تاريخ الجزائر الثقافي (ج5، ج6.(دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.ص 15

[2] بوقندورة، محمود.الجزائر خلال العهد العثماني.منشوراتANEP ، الجزائر، 2004. ص 25

الحياة الروحية للمذابيح

ينتمي المذابيح قديما و حديثا إلى مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس قاموا بتأسيس عدة مساجد و مدارس قرانية و منهم من إلتحق بالأزهر و الزيتونة

حياتهم الإجتماعية و الإقتصادية:

كان النظام القبلي طابع جميع القبائل بالجزائر و من أهم تقاليد قبيلة المذابيح أنها تعود في جميع قضاياها الأجتماعية و الدينية إلى عقلائها الذين لعبوا دورا في الحياة الإقتصادية بالمدينة و خارجها حيث كانت لهم علاقات تجارية بالعاصمة منذ سنة 1640 م و المدية و أفلو و البيض و الأغواط و غيرها

كانت حددودهم الجغرافية بإعتراف كل القبائل و الحررة على شكل عقد من رأس أنتيسه إلى واد زقرير غربا و التي وضعت سنة 8800 هجرية 1393 –م على يد الشيخ محمد بن أحمد مولى الحوض الشريف المذبوحي ولقد كان لهم دورا كبيرا إبان الثواراة الشعبية ضد الإستعمار الفرنسي و خاصة ثورة الأمير عبد القادر الذي كان قائد جيشه محمد بن أبي حميدة أو ماكان يطلق عليه البوحميدي(تحمل ثانوية بمستغانم إسمه) و ثورة الشيخ بوعمامة حيث إلتحق بصفوفه رجال من 14 خيمة كما كان لهم شرف المشاركة بكثافة في الثورة التحريرية و أستشهد منهم أبطال كثيرون[1]

علمائهم و شيوخهم:

إن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني كان مرشدا و مدرسا حكيما مايزال إسمه قائما في ذاكرة العلماء ومن المفيد أن نذكر مجموعة من الطلبة الأوفياء:

–الشاعر المتصوف بن عبد الجبار الفيجيجي

–سليمان بن أبي سماحة المدفون ببني ونيف بفيجيج

–الحاج بن عامر المدفون في البيض–

–سيدي أحمد المذبوحي المدفون بالمشرية

[1] حركات، إبراهيم.القبائل العربية في المغرب العربي.منشورات كلية الآداب الرباط، 1990.

قبيلة الشعانبة

هم من أشهر قبائل الصحراء الجزائرية،وأكثرها عددا وقوة، يتواجدون أساسا في كل من ولاية غرداية وورقلة ووادي سوف ، ولا يرجعون في نسبهم إلى جد واحد، بل تتشكل في أغلبها من عرب بني هلال وبني سليم وغيرهم. ومن أشهر فروع الشعانبة في صحراء الجزائر : أولاد بلقاسم (القواسم) ، وأولاد خليفة ، وأولاد عبد الله ، وأولاد عامر ، وأبو الهول ، وأبو معنونة ، وسحيم وغيرهم.

في أواخر القرن التاسع الهجري استقرت فخوذ الشعانبة في متليلي وهي المقر الرئيسي لهم، ولما تكاثروا نزحوا إلى الشرق نحو واحات ورقلة والمنيعة، وفي عهد الاستقلال انقسموا إلى ثلاث زمرات رئيسية في متليلي، والمنيعة وعين البيضاء بولاية ورقلة[1].

1. شعانبة بورزقة : ويتواجدون في متليلي وغرداية، وهم يسيطرون على منطقة شاسعة من الصحراء تمتد حتى وادي لواه ووادي زرقون غربا وجيرانهم فيه أولاد يعقوب الذواودة الرياحية الهلالية. وأهم أعراشهم : بني إبراهيم ، بني مرزوق ، مرابطين ، الشرفة ، أولاد إسماعيل ، القمارة ، العوامر ، السوايح ، أولاد حنيش ، أولاد عمر ، أولاد إبراهيم ، أولاد موسى ، ثوامر ، البهاهزة ، الشلق ، جرودة ، أولاد عيسى بن موسى ، عميرات.

2. **شعانبة بوروبة** : إلى الشرق من الزمرة الأولى، ويسيطرون أيضا على ديار شاسعة من الصحراء الجزائرية جنوب وشرق مدينة ورقلة ووادي ميزاب، ومن أهم القرى التي تقع في ديارهم : الرويسات وعجاجة والشط وحب الريش وعين البيضاء وهي تابعة لولاية ورقلة، وفي شمال الولاية تقع ديار قبيلة المخادمة الهلالية في وادي النساء، وتشارك بعض فخوذ الشعانبة سكن هذا الوادي مع بعض أولاد نايل وغيرها من قبائل الصحراء الجزائرية. ومن المعروف أن أشهر حقول البترول الجزائري تقع في حاسي مسعود والعقرب القاسي وهي من ديار شعانبة البوروبة. ومن أشهر بطون شعانبة البوروبة أولاد فرج ومنهم محمد حاود زعيمهم أيام الثورة في الصحراء على الفرنسيين، ومنهم أيضا أولاد قاسم (القواسمة)، وأولاد عبد الله وغيرهم. ومن أهم أعراشهم : أولاد بوروبة ، شقوق ، أولاد بوبكر ، أولاد عمر ، أولاد فرج ، نسير ، أولاد زيد ، دوي ، دبوب دناقير ، دبوب أولاد ابراهيم ، أولاد علي بن عبد الله ، أولاد بلقاس[2].

[1] العربي، إسماعيل.ثورة الشيخ بوعمامة.المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.ص 42
[2] سعد الله، أبو القاسم.حرب الأمير عبد القادر.دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985. ص 56

نزح قسم من شعانبة البور إلى واد سوف قرب الحدود التونسية وهم الشعانبة السوافة وأشهرهم أولاد الطيب بن عمران، ولهم شهرة واسعة لدى سكان الصحراء، وكانوا ألد أعداء فرنسا وظلوا ثائرين لمدة 20 سنة.

3. **شعانبة المواضي** : ويتواجدون جنوب القسمين السالف ذكرهما، وبلادهم في عمق الصحراء الجزائرية متصلة بديار شعانبة البوروبة، وأهم معاقلهم المنيعة والتي تقع بعدها هضبة تادمايت، ثم مدينة عين صالح التي يسكنها بعض الشعانبة المواضي، بالإضافة إلى بعض القرى الصحراوية مصل عين الطيبة وقور بوخلولة وقور ورقلة والغولية وضاية الصفصاف والمملوك. ومن أشهر فروع شعانبة المنيعة أولاد زيد ومنهم أولاد الأشهب المواضي. ومن أعراشهم : أولاد بلقاسم ، أولاد معمر ، أولاد محمد ، أولاد الشيخ ، خنابليش ، أولاد سيدي قدور بن يحي ، العوادين ، القرينات ، دحامنة ، مهادي ، أولاد الحاج دحمان ، أولاد الحاج منصور[1] .

كما هناك قسم من الشعانبة في منطقة ورقلة (ضمن شعانبة البوروبة) يُطلق عليهم شعانبة طَرُود وأصلهم من بني فَهم من قيس عيلان أبناء عمومة بني سُليم بن منصور.

والمشهور عن الشعانبة كغيرهم من عرب الجزائر عزة النفس العالية والشجاعة النادرة، ويتميزون بإكرام الضيف وحماية الجار. بعد الاستقلال توطن معظم الشعانبة في المدن والقرى ومال بعضهم إلى زراعة النخيل وأشهر أنواعه " دقلة نور "، ويعمل الكثير منهم في شركات البترول الوطنية التي تقع بالقرب من ديارهم.

[1] بن قطاف، يوسف.ميزاب عبر التاريخ.منشورات جمعية التراث الميزابي، غرداية، 1999.

خلاصة الفصل

من خلال ما سبق ضمن مباحث هذا الفصل الأول التمهيدي، يتضح أن التنظيم الاجتماعي في وادي مزاب لم يكن عفوياً، بل جاء وفق هيكلة دقيقة تمثلت في تضافر أدوار العزّابة والعشيرة والهيئات التابعة لها. فقد اضطلعت حلقة العزّابة بدور السلطة الروحية والأخلاقية التي تقوم على تزكية النفس وصون القيم الدينية، في حين مثّلت العشيرة الإطار الرقابي الحاضن، بما وفّر للفرد سنداً اجتماعياً يرسّخ التكافل والتعاون.

أما الهيئات التابعة لها فنهضت بوظائف عملية في مجالات التعليم، والأوقاف، وفض النزاعات، وتدبير الشؤون اليومية للقصور. وبفضل هذا النظام المتكامل الذي جمع بين البعد الروحي والتنظيم المؤسسي، بما يعكس نظاماً متكاملاً بصفة ذاتية في إدارة شأنه المحلي بدرجة عالية، رغم خضوع الجزائر شكلياً للحكم العثماني الذي لم يتجاوز حدّ النفوذ الشكلي في المراكز الساحلية دون أن ينفذ إلى عمق الصحراء وأسرارها.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : عادات وتقاليد اجتماعية

- تمهيد
- المبحث الأول : الزواج والمهر
- المبحث الثاني :مراسم المآثم و الجنائز
- المبحث الثالث : موسم الزيارة
- المبحث الرابع : مؤتمر لا إله إلا الله
- خلاصة الفصل

تمهيد

يمتاز المجتمع المزابي بنظام اجتماعي متين يجعل من العادات إطاراً ضابطاً للسلوك الجمعي، فقد صاغ المزابيون نمط حياة يُزاوج بين الدين والعرف، يوجّه الأفراد منذ الميلاد حتى الوفاة، في زواجهم ومآثمهم ومواسمهم الدينية. هذه العادات لم تُترك للارتجال، بل نُظّمت وفق قيم دينية ومؤسسات عرفية تؤطرها مجالس العزّابة مثل: موسم الزيارة أو مؤتمر "لا إله إلا الله". ويبرز في هذا السياق قول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "العادات من الدين إن وافقت مقاصده"، بحيث إن الأعراف الطيبة تشبه سياج الدين، فإن ضاع سنن قوم محافظين عليها ضاعوا كما ضاع دينهم. ويقول الجرجاني: "ما استقرّت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقّته الطبائع بالقبول[1]."

ولغرض ذلك فقد قُسِّم هذا الفصل إلى:

المبحث الأول: الزواج والمهر

المبحث الثاني: المآثم

المبحث الثالث: موسم الزيارة

المبحث الرابع: مؤتمر لا إله إلا الله

[1] علي بن محمد الجرجاني: **كتاب التّعريفات**، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1424هـ.2003م، ص122

المبحث الأول: الزواج والمهر

المطلب الأول : تعريف الزواج

أ . لغةً:

بالفتح، اسم من زوّج مثل سلّم سلاماً، وكلم كلاماً. يقال: زوّج الأشياء تزويجاً وزواجاً، أي قرن بعضها ببعض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: 54] أي قرّناهم بهن[1].

ب . اصطلاحاً:

هو، أي النكاح في عرف الشرع: (عقد لحِلّ تمتّعٍ)، أي استمتاع وانتفاع وتلذّذٍ (بأنثى) وطئاً ومباشرة وتقبِيلاً وضَمّاً[2].

ج . تعريفه الاجتماعي:

اتحاد جنسي بين الرجل والمرأة اتحاداً يعترف به المجتمع بواسطة إقامة حفل خاص، ويتضمّن حقوقاً وواجبات لا للشريكين وحدهما، ولكن للأبناء الذين ينتجهم هذا الزواج أيضاً[3].

أولاً: الخِطبة (أقاوَل)

تُعدّ الخطبة المرحلة الأولى في مراسم الزواج داخل المجتمع الميزابي في وادي مزاب، وتحمل آداباً متعددة منها: اختيار الخطيبة يكون غالباً عن طريق الوالدين (الوالد أو الوالدة، الجد أو الجدة)، يُراعى في ذلك عدة معايير شرعية واجتماعية منها: الدين، التقوى، الأخلاق الحسنة، سلامة العقل والبدن، السمعة الطيبة، مع توفير العمل بالنسبة للذكر، وصفات محمودة أخرى.

ويُستدل على هذا باعتماد المجتمع على الحديث النبوي بقوله:

››إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد، قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه‹‹ (ثلاث مرات)[4].

---

[1] محمد عقلة الإبراهيم: **الزواج والفرقه في الفقه الإسلامي**، دار النفائس، ط1، عمان، 2012م، ص8.

[2] علي عثمان جرادي: **عقود الزواج المعاصرة بين الصحة والفساد دراسة فقهية مقارنة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان،2017م، ص20.

[3] الفيروز بادي (محمد بن يعقوب): **القاموس المحيط**، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص 254.

[4] علوي بن عبد القادر السقاف "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه"، **الدرر السنية**، mailto:www.dorar.net/adith/show/1085 ، 4يوليو 2025م، سا 20:58

بعد أن تُبدي الأم قبولاً مبدئياً، وتتَشاور مع الأب، تُسعى فرصة للشاب الخاطب أن يرى فيها من اختيرت له لتكون قرينته في المستقبل[1]، فإن الاتصال بين العائلتين يتم بتصريح الخطبة.

ثانياً: المهر

أ/ لغةً:

يقال: مَهَرَ المرأةَ يَمهَرُها مهراً وأمهرها، أي ساق لها صداقها. والصداق في اللغة هو دفع المال المشعر بالرغبة في عقد الزواج[2].

ب/ اصطلاحاً:

هو المال الذي تستحقّه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول بها حقيقة، ومن أسمائه: المِصداق، أو الصداق، أو النِّحلة، أو الفريضة نكاحاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ... مِن فَضْلِهِ﴾[3].

ثالثاً: إبرام عقد الزواج

ينقسم عقد الزواج في مزاب إلى ما يُسمّى "بعقد التمليك"[4]، والسبب يعود إلى زواج النساء صغيرات في السن وضعيفات البدن: "هنّ صغيرات من العمر، أو العاشرة، ونادراً ما يكنّ في الرابعة عشرة، يضعن دُماهُنّ في بيوت أزواجهنّ"[5]، والزوج لا يقيم مع زوجته علاقة زوجية إلا بعد عودته من السفر الذي تطول مدته من عامين فأكثر[6].

---

[1] وهبة الزحيلي: **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، ط4، دمشق، 1989م، ج7، ص 251

[2] مفدي زكرياء: **أضواء على واد مزاب ماضيه وحاضره**، تح: ابراهيم بن بكير بحاز، ط1، الجزائر: منشورات آلفا ،2010م، ص178.

[3] **سورة النور**: الآية 33

[4] **عقد التّمليك**: هو عقد على الفتاة الصغيرة قبل بلوغها الحلم ويتفق هذا العقد مع عقد الزواج في الشروط والأركان، إلا أن عقد التّمليك بعد الزواج قابل للفسخ عند رشد البنت، ولها الحق في إبقائه أو فسخه. انظر عزيزة بنت عيسى بوحدية: العرف في المجتمع المزابي بقصر غرداية ـ الأعراس نموذجا ـ، تق: أ. د إبراهيم بن بكير بحاز، المطبعة العربية، غرداية ـ الجزائر، 2022م، ص 72.

[5] أميلي ماري كفاشيون: **الحياة النسوية في مزاب 1927م**، تر: سامية نور الدين شلاّط، در، تح: صالح محمد الشيخ صالح، دار نزهة الألباب لنشر والتوزيع، ط1، غرداية ـ الجزائر، 2017م، ص94.

[6] الشيخ بلحاج بن عدون قشار (ت 1416هـ/ 1996م): **عوائد مزاب سنن لا تقاليد، ته** ـ تخ: أحمد حمو كروم، ط 2، د م ن: د ن، 1428هـ/ 2007م، ص104.

العقد العرفي (غير الرسمي):

يكون بحضرة الزوج ووليّ المرأة وما أمكن من الأقارب للشهادة، فيطلب الزوج بنفسه أو بمن يوكله يد الفتاة من وليّها حيث يقول: "زوّجني ابنتك فلانة"، فيجيب بقوله: "أقبلت شروطها" (أشّروط أن سِيوت عميس)، فيتلوها عليه العاقد الذي يحرّر العقد.

فينصّ بما يأتي:

"الحمد لله الذي أحلّ النكاح وأمر به، وحرّم السفاح ونهى عنه، وخلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً. أشهدكم أيها الملائكة والحاضرون حاشا إبليس اللعين، أن فلان بن فلان تزوّج فلانة بنت فلان بفرض الله وسنّة رسول الله ﷺ على ألا يتزوج عليها ولا يتسرّى إلا برضاها."

المطلب الثاني : مراسم العرس في مزاب

الزواج في المجتمع المزابي ظاهرة اجتماعية ذات دلالات روحية وثقافية عميقة، وتتجلّى فيها آيات الأخوّة والتعاون والاحترام المتبادل، لا سيما من خلال الدور النشط الذي يقوم به أفراد العائلة والعشيرة في تنظيم مراسم الزواج. حيث إن الحياة اليومية في القديم كانت تتميّز بالبساطة والعفوية بسبب ضعف البعد الاقتصادي الذي يصعب الاسترزاق فيه، جراء الاحتكاك بالوسائل التقليدية البسيطة والطبيعية والمناخية، كجلب المياه من الآبار للسقي والاستعمال اليومي، واقتناء الحطب والسَّعف لإيقاد النار للطبخ بها، وإيقاد القناديل "أضو نزيت" للإنارة.[1] واهتمّوا بمجال الزراعة فاتّخذوها مصدر قوتهم بعد مرورها بمراحل عدة بداية من الحصاد والقطف لثمارها القابلة للأكل والاستهلاك.

في وسط هذه الظروف كان العرس يمتد لمدة سبعة أيام، يُعزم إليه الأقارب وكل من له صلة بالرحم، ويُقام في البيوت في جو من التضامن والتكافل الاجتماعي في إعداد الموائد ونحوها، وفق تسلسل متوارث من العادات والمراسم المتوارثة:

أ/ الاستمارة (الإشارة):

يتعيّن على والي العرس أو من ينوبه، كوالده، طلب الاستشارة الممضاة من عشيرته إلى المكلف بتنظيم التسجيلات من قبل المسجد، وبعد أن يتم تحديد الموافقة لتاريخ العرس يُسلَّم للعريس إشعار رسمي يُعرف بـ(الاستمارة) وتُسلَّم لعشيرته ليتسنى معرفة الوضعية الاجتماعية لهذا الشاب وعلاقته بأفراد عائلته ومحاولة إقامة الصلح قبيل المناسبة، ومعرفة تاريخ العرس والحرص على

[1] الشيخ بلحاج بن عدون قشار (ت 1416هـ / 1996م): **عوائد ميزاب سنن لا تقاليد**، ص104.

تطبيق المتفق عليه.

مثال ذلك: في رجب 1108هـ / 1697م، اتفقت سبعة قصور مزاب في مجلس أم سعيد على أن العرس لا يُسمح فيه بالخادمِين سواء من جهة الزوج أو الزوجة، ولا يُسمح بالكلام القبيح، وحمل العروسة على البغل والفراش ممنوع، بل تمشي على رجليها... والخادمة التي تقعد للعروسة لها ثمن ريالة، واللعب والرقص والبارود والعطر والدخان ممنوعة، وكل من فعل شيئاً مما ذُكر فهو في هجران المسلمين. ويُطبَّق ذلك في نظام محكم من جهة الذكور أو الإناث.

ب/ اختيار المتطوعين للعرس والوزراء للعريس

في هذا اليوم يتم الاجتماع في منزل العريس، يحضره جلّ أقربائه وأصدقاؤه، بعد صلاة المغرب مباشرة لتلقي اختيارات المهمّة التطوعية للعرس من أول أيامه إلى نهايته، فيتم اختيار ثلاثة وزراء من طرف العريس على أساس إتقان العمل والخبرة والاستقامة. والغرض من ذلك تقديم النصح والإرشاد للعريس وملازمته من أول فقرات العرس، بحيث يرافقانه ليلاً إلى داره وينتظرانه أمام هذه الأخيرة عند طلوع الفجر مباشرة إلى المسجد لأداء صلاة الفجر جماعة. وعند هذا الاجتماع تكون كلمة توجيهية لازمة لإبراز معنى التضامن وفوائد التعاون، أو توعية الناس بما يطرأ من مسائل اجتماعية أو مشاكل عامة تحتاج إلى العلاج.

ج/ يوم تجهيز مستلزمات العرس

يتم تسجيل قائمة الفرش وغيرها مما يُستعار من الحاضرين لهذه المناسبة (لمأدبة الوليمة والحفل) من أفرشة وأوانٍ للطعام وغيرها. كذلك بالنسبة للعروس يكون يوم تجهيز وتنظيم ما سيُؤخذ لبيت زوجها (الجهاز) مع مجموعة نساء ليفرشن لها غرفتها. والذي ضبطه لها مجلس العزّابة على شكل لائحة تُسمّى بـ"تافتارت"، يُعلن عنها في الجامع، ثم يسهر عليها العزّابة و"إمَسّيرْدِينْ" على مراقبة تنفيذها، ويتعرض من خالفها لعقوبة "التبرِيت"[1]، القصد منها الحدّ من التجاوزات والإسراف والمنافسة بين الأغنياء على حساب الفقراء. يقول الدكتور بلحاج الناصر في مذكرته: "حيث مُنِع كل ما يمكن أن يُكرّس مظاهر التباين الطبقي بين السكان، ومن ذلك تحديد الصداق ونفقات حفلات الزواج... وبفضل هذا حافظت المنطقة على مستواها المعيشي.[2]"

وأيضاً من تجهيزات العرس أن يقوم العرسان وأهاليهم بالذهاب إلى مكان الذبح، ويكون عادة في الغابات التي يمتلكها أحد العرسان، ثم يقومون بنحر عدد من المواشي والأبقار، وتُنقل اللحوم إلى

[1] معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص 148.

[2] [2] ناصر بالحاج: مرجع سابق، ص165.

دار العشيرة حيث تقوم النساء بإعداد وطهي هذه اللحوم في مجموعة أكلات تقليدية في المنزل الذي يُقام فيه العرس.

د/ أروَّح (ليلة الزفاف)

ويُعتبر هذا اليوم اليومَ الرئيسي في العرس، أي الوليمة الكبرى، بحيث يُقدَّم المعزومون وأهالي العرسان من الرجال والنساء إلى دار العشيرة، خاصة بكل واحد من الجنسين؛ الرجال في دار، والنساء في دار أخرى تكون قريبة من دار الرجال. بعد صلاة الظهر وقبل تقديم الطعام يجلس العرسان أمام شيوخ العزّابة والحاضرين، وكل واحد يحمل رزمة قماشية حمراء يوضع فيها لباس العرس، ثم يقوم الحاضرون بقراءة آيات من الذكر الحكيم، فإذا وصلوا إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[1]، يقوم العزّابة والشيوخ والأقرباء بإلباس العرسان لباسهم الخاص، ويُقال له بالمزابية: (أيْرِيَضْ)، ومعه أبناء صغار من عائلة العريس أيضاً لإلباسه حائكاً[2].

ثم يقوم أحد الشيوخ بذكر أسماء العرسان وأنسابهم أمام الحاضرين كإعلان وتشهير لهذا الزواج، وبعد ذلك يُقدَّم الطعام، وعادة يكون الطبق "الكسكس". عند الانتهاء يقوم أحد شيوخ العزّابة، وإن غاب هذا الأخير يتولاه عضو من "إيروانْ"، بقراءة "تُواتْرَا"[3]، فيصمت الجميع وينصتون إلى الدعاء اقتداءً بسنة النبي ﷺ. ألم يقل ربنا سبحانه في كتابه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وقد شرحها طاحون أحمد بن محمد في كتابه قائلاً: "أي اذكروا ربكم واسألوه من فضله، فإن الله المجيب أن يُسأل."

ولا ننسى أن قبله يكون التغنّي بالشعر العربي القديم، ثم تطوّر في عهد النهضة الحديثة إلى أناشيد دينية ووطنية وخطب ونُكت من أدباء ميزاب، أو حتى قصص تاريخية، أو ما يجري من الأحداث التي تهمّ المدينة والعالم الإسلامي، فلا يقوم الحاضرون إلا وقد امتلأت عقولهم بفائدة جديدة كما امتلأت بطونهم بالطعام[4].

نفس الشيء عند العروس، فبعد أن يتم إلباسها "تِيمَلْحَفْتْ"، وهي تتميز بألوان مزركشة، أغلبها من اللونين الأخضر والأصفر وبأشكال هندسية متنوعة، كل شكل يحمل رمزاً، تُصنع من

---

[1] سورة الأنعام: الآية 83.

[2] الحاج أيوب بن ابراهيم القرادي: رسالة في بعض أعراف....، ص 93.

[3] تْوَاتْرَا: لفظ أمازيغي معناه الدعاء بالعربية جمعها تواتْرِيوِينْ ، وهي عادة أو قل سنها الرسول ص، وهي حاضرة إلى الآن في كل المناسبات أفراحا كانت أم أحزان عامة أم خاصة. في مزاب ووارجلان وجربة وجبل نفوسة. ينظر: معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص160- 161.

[4] طاحون أحمد بن محمد: مرشد الدعاء إلى الله" دراسة وتطبق "، د ـ د ـ طـ، جدة ـ السعودية، 1402ه ـ ص347.

حرفيات المنطقة. أما تسريحة شعرها فهي "تَكَنْبُوشْتْ"[1]، ويُتمّ رؤيتها من قبل النساء الحاضرات. فبلَغَةُ الذهاب، يأتي عون القاضي إلى دارها ومعه شابّان، فينادي صاحب الدار والد العروس، فتأتي معه وتقف وراء الباب ومعها خادمتها، فيبلّغها أن والدها قد زوّجها، فترد بالقبول أو تصمت، ويُكتفى بسكوتها إذا كانت بكراً، ويُستمع إليها إذا كانت ثيّباً، وهذا مأخوذ من الشَّرع ويُسمّى "التسميع[2]."

ثم تُرافق إلى بيت زوجها، وتُخصَّص لها امرأتان وخادمة معروفة محلياً باسم "تَيَة"، ولا يكون للخادمة من الأجرة إلا نصف ريالة فقط. وتنتقل العروسة ماشيةً على قدميها، ولا تركب ظهر البغل أو الفراش تفادياً للتفاخر، ومَيْلاً إلى البساطة والعفوية والوضوح، بعيداً عن الهرج والإحراج والصخب من الدفوف، كما حددته القوانين الاجتماعية في سنة 1226هـ / 1811م.

و/ اليوم الثاني (أَصْبَاح)

أ/ زيارة المقبرة:

في هذا اليوم ينتقل العريس بعد الفطور في العشيرة رفقة أقربائه ووزرائه وعضو من حلقة العزّابة إلى المقبرة التي دُفن فيها أجداده، مثل مقبرة باعيسى وعلوان [3]أو مقبرة الشيخ عمي سعيد [4]أو مقبرة بابا والجمة[5]، لهم الفضل والثناء في حياته، فالجَدير به أن يتذكرهم ويترحّم عليهم في تلك اللحظة، استناداً لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[6].

يتقدم أحد أعضاء العزّابة ليقدم موعظة، عادةً ما يذكر فيها واجبات المسلم في حق الله وحق

---

[1] صالح بن عمر اسماوي: مرجع سابق، ص 204.

[2] التسميع: هي عادة فلا أثر عليه اليوم، فالمحاكم والموثقين صاروا مكان عون القاضي، وقد استبدلت عادة "التسميع" كما يقال لها، باجتماع محارم العروس وأقاربها من الرجال في جلسة عائلية تودعهم فيها ويقدم لها فيها هدايا. ينظر: الشيخ أيوب بن ابراهيم القرادي، مرجع سابق، ص 104.

[3] الشيخ باعيسى واعلوان: (ق 5ه / 11م): اسمه الأصلي عيسى بن علوان عالم من علماء مدينة غرداية بوادي مزاب وأحد مشايخها الأوائل نزح من المغرب الأقصى إلى منطقة غرداية عاصر العلامة الشيخ يوسف بن يونمر الإباضي النفوسي وتزوج إحدى بنتيه وهو من ضرب الخيام أول مرة بالمنطقة غرداية. انظر معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، 330.

[3] عمي سعيد: اسمه الأصلي سعيد ين علي بن يحي بن يدّر بن سليمان ابن عثمان الجربى الخيري (أبو صالح) اشتهر باسم عمي سعيد ولد في قرية اجيم بجزيرة جربة بتونس ت (محرم 898ه / 1492م) صاحب نهضة العلمية والدينية ومؤسس مجلي الفتوى 855ه/ 1450م وأنشاء دار التلاميذ بغرداية وألف عدة رسائل وقصائد أنجز فهرس شامل لمخطوطات مكتبة شيخ عمي سعيد، أصلح ذات البين وقام بدور القاضي العام في قرى مزاب. انظر، نفسه، ص 182.

[3]بابا والجمّة: اسمه الأصلي إبراهيم بن يوسف الملقب ب "بابا والجمة" من مشايخ غرداية بميزاب ، ضرب الخيام أول مرة بوادي مي زاب جنوب الجزائر ووضع بذلك نواة الأولى لغرداية (المدينة)، بعد بابا السعد الداوي ت (442ه / 1050م) ، وهو صاحب الأجنة العليا بواحة غرداية احيا الزراعة بميزاب، ولذلك سمي ب «أبي البستان " لأن " تاد جمَّة "هي البستان باللسان الميزابي. انظر: نفسه، ص 37.

[4]سورة الإسراء: الآية 24.

[5]بالحاج ناصر: مرجع سابق، ص154.

الوالدين... ثم يُعطى له خبز الطاجين اسمه "تارْضُونْتْ نَانُوفَا"، يقطعه إلى نصفين بيد واحدة. وراء هذا السلوك الكثير من العِبر والحِكم، منها أن يتحمّل المسؤوليات داخل عالم الزواج، فقبله كان أعزب – أي الرزق يقسَم، واليد الواحدة لا تصفّق – والآن في مرحلة نسج أسرة تُرسّخ قيمة العدالة والمساواة وإعطاء كل ذي حق حقه من زوجة وأبناء ووالدين، اعتماداً على النفس بعيداً عن الاتكالية، وبأن هذه الحياة الدنيا بجمالها وملذّاتها تنتهي، ولا يبقى إلا العمل الصالح.

ب/ العادة (تَازُوضَا)

هي عادة حميدة في وادي مزاب عامة، يقوم بها العروس غداة أن تصبح في أهل زوجها كهدية للمصاهرة، أي في اليوم الثاني للعرس، لأهل العريس، وعادة ما يكون الطعام "أرفيس" في غرداية، أما في تجنينت فـ"الكسكس بالتمر"، لتكون أيامهما سعيدة.

كل تكاليفها تُؤخذ من المهر أو الصداق بمبلغ رمزي أو شاة يُطبخ نصفها ويُرجع نصفها الآخر للعريس، بحيث وضع فيها مجلس العزّابة شروطاً، مثلما أوضح الدكتور بلحاج ناصر: "فلا يجعلوا أكثر من حثية ونقاصة سمناً ونصف شاة لحماً، ويُعطى بعد ذلك شاة فما دون ذلك، وبقية الصداق وتفصلها عشرون دوراً دراهم، وعادة أرفيس". [1]

ج/ الإقرار والامتنان (أَسَبَارْكْ)

هي عادة قديمة وتُعتبر الفقرة الأخيرة من العرس، بحيث يشكر العريس والده أمام الحاضرين في العشيرة إقراراً وامتناناً على تربيته وحرصه على إتمام العرس بفضل الله، وامتثالاً لقول الرسول ﷺ: ‹‹مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ[2].››

---

[2] حمو بن ابراهيم فخار: تنظيم الأعراس في مزاب بين النصوص الشرعية والأعراف الاجتماعية: قصر بريان بولاية غرداية أنموذجا، مجلة أصبهان للبحوث والدراسات، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة غرداية، ع01، مج04، 2019، ص53.

[2] سورة عبس: الآية 21.

[3]العرف: " عرفه الفقيه الفرنسي بلانيول planiol، بأنه: هو ذلك القانون الذي لم يصدر أبدا عن هيئة تشريعية فهو يتكون من قواعد العادة، والتي تكونت شيئا فشيئا مع مرور الوقت، وعرفها عبد المنعم فرج الصدة في كتابه: مبادئ القانون في ص 88: اعتياد الناس على سلوك معين في ناحية من نواحي حياتهم الاجتماعية بحيث تنشأ منه قاعدة يسود الاعتقاد بأنها ملزمة ". ينظر: لحسن بن الشيخ آت ملويا: القانون العرفي الأمازيغي الكتاب الأول في القانون الجزائي، دار هومه، ط1، بوزريعة ـ الجزائر 2009، ص 41.

[4]توفيق المدني: مرجع سابق، ص 112.

المبحث الثاني: المآتم

تمثل طقوس الجنائز والمآتم في وادي مزاب جانباً مهماً من النظام الاجتماعي والديني، حيث يُولى احترام الميت وأداء الحقوق الشرعية له أهميةً بالغة، دون المبالغة أو ما يُنافي البساطة والاحتساب. إذ يتعامل الفكر الإباضي مع الموت بوصفه محطةً للعبور إلى الدار الآخرة، ما يستدعي حضوراً روحياً وخشوعاً جماعياً بعيداً عن التكلف والمظاهر الدنيوية.

ومن هنا جاء حرص العزّابة على تقنين هذه الشعائر وضبط تفاصيلها بما يحفظ وحدة الجماعة ويحقق مقاصد الشرع في التكافل والاحتساب والاعتبار، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾. [1]

وما هو مقرر من الشرع في غسل وتكفين ودفن الميت هو حق للأقارب لا دخل لغيرهم، لكن عند وادي مزاب تُعدّ هذه من الأمور التي تلتزم بها العزّابة، وهي بالمجان، إذ ربما لا يوجد من الأقارب من يُحسن القيام بذلك على الوجه الشرعي، وهو ما لقي قبولاً وارتياحاً من العامة.

ويُشترط على وليّ الميت إخبارهم بتجهيزه فقط، وسيتولون ذلك سواء في بيته أو في المقبرة التي بها مكان مهيأ ومخصص لذلك.

المطلب الأول : مرحلة الإعلان عن الوفاة وتجهيز الميت

يُعلن للناس في المسجد من طرف العزّابة . وهو حق لهم بالعرف [2]. عن موعد الجنازة بالوقت والمكان، ليتسنى الحضور لمن رغب، لأنه من السنة الإسراع في تجهيزه.

ومن كان في "براءة المسلمين" وقد أُعلن عليه في المسجد بسبب جريمة أو مخالفة وأصرّ على الغي، سواء كان رجلاً أو امرأة، "فلا يُشارك في فرح أو مأتم، ولا يُعامل أي معاملة، وإذا توفي على تلك الحال، غسله ودفنه العامة من دون الهيئة." [3]

وقد يُعيّنون من غير المنظور إليه من ينوبهم في تجهيزه من جماعة "إِرْوَانْ" أو "إِمَصُّورْدَانْ"، وكل هذا لتحقيق التعاون والتضامن لانضباط المجتمع.

وفيما يخص الصلاة على الميت، فلابد من إذن الولي، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[4].

وحضور الجنازة أمر عادي له عناية خاصة، حسب قوله ﷺ: ‹‹مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً فَلَهُ أَرْبَعَةُ قِيرَاطٍ مِنَ الأَجْرِ، القِيرَاطُ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ.›› [5]

كل هذا التجهيز يكون في مكانٍ عمراني بجانب المسجد يسمى بـ"مُصَلّى الجَنَائِزِيَّة"[6]، كما تُكنى بأحد أسماء شيوخ المنطقة، مثل "مُصَلّى الشيخ سيدي عيسى"[7] أو "الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن موسى."

ولا ننسى حقّ الميت علينا أن يُلقَّن الشهادة إذا احتُضرَت المنيّة[8].

المطلب الثاني: مرحلة دفن الميت

أ/ دفن الميت في قبر لائق:

يُفضَّل أن يكون القبر عميقاً ومريحاً للميت بحيث يمكن تغطيته بالتراب بشكل جيد، وتكون الحفرة مستقرة. يُجهزها شخص يكون رجلاً يُطلق عليه تسمية)وقف حافر الجنائز(، وهو أيضاً مسؤول عن صيانة مغاسل الموتى وإقامة أسوار المقابر، وهذا ما أوضحه معجم مصطلحات الإباضية عن التسمية.

بعد غسله، دون توقف عن قراءة القرآن، يُكفَّن من طرف العزّابة بالنسبة للرجل، والغسالات بالنسبة للمرأة، بكفن يُخاط جانبه الأيسر، بينما يُثبت الجانب الأيمن بعد طيه بأشواك النخيل، ويُقدَّر طوله بـ 3.5 أمتار على الأقل، ثم يُرجع الكفن إلى الوجه بعد وضع الشعر تحت الرأس. تُثبت الطيات في المنتصف على مستوى الأنف بشوكة النخيل وتُترك عين واحدة ظاهرة، وتُنزع هذه الشوك في القبر بجانب الميتة، وهذا بالنسبة للمرأة[1].

نفس الشيء بالنسبة للرجل، بحيث يُوضع على جانبه الأيمن باتجاه القبلة، ويُحمل التابوت سيراً تُكمِل صفة السكون والخشوع، فلا يُسمع إلا العزّابة يرددون، فيعيد العامة من ورائهم:

»لا إله إلا الله، سبحان الحي الدائم الذي لا يموت «إلى أن يصلوا إلى المقبرة[2].

بعد الانتهاء من الدفن، كان يُوضع له آنية من قطعة الفخار أعلى جهة الرأس [3] ليُعرف قبره ويُدعى عليه، لكن قد نُبذت هذه العادة من طرف الميزابيين أنفسهم، خاصة القطب اطفيش،

---

[3]

[4] سورة الأنفال: الآية 75.

[5] [5] محمد بن عبد الله بن محمد عبد القادر الجنيدي: الموسوعة الكبرى لأطراف الحديث النبوي الشريف، الكتب العلمية، ج42، بيروت ـ لبنان ،1971م، مح: تتمة حرف الميم، ص55.

[6] مصلى الجنائزية: يطلق عليها أيضا اسم مصلى المقبرة ـ مصليات المقابر ـ في المجتمعات الإسلامية...أما في منطقة مزاب هي تلك المبنى الذي يوظف لأداء صلاة الجنازة أو تمارس فيها بعض الشعائر الدينية التي لها علاقة مباشرة بالميت تمتد على مساحات شاسعة تحتوي على مصليات جنائزية مغطاة وأخرى مفتوحة على هواء الطلق، تقام فيها مثل تلاوة القرآن الكريم، وممارسات اخرى لها علاقة بالجانب الاجتماعي. انظر: معروف بلحاج: الخصائص المعمارية للمصليات الجنائزية بمنطقة وادي ميزاب وواقعها، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، مج 4، ع 1، 2015، ص64.

[7] مصلى الشيخ سيدي عيسى: تقع هذه المصلى بالمقبرة التي تحمل اسمه والواقعة شمال قصر آت مليشت (مليكة)وهو فضاء للصلاة غير مغطى ، به أضرحة الشيخ وعائلته ويشرف على وادي مزاب كما يوفر للزائر مناظر شاملة على المنطقة ، وكان هناك مسجد (مصلى مغطى) بجانب فضاء الصلاة لم يبقى منه سوى بعض الأطلال ، أخذ العلم عن شيخ زمانه بوادي مزاب : الشيخ عمى سعيد الجربى ويعتبر أنجب التلاميذ له وأخذ منه أئمة ومشايخ منهم : الشيخ محمد بن زكرياء الباروني النفوسي ، الشيخ داود بن إبراهيم التلاتي الجربى ، الشيخ بامحمد بن عبد العزيز اليسجني ، الشيخ أبو زكرياء بن أفلح ، الشيخ سعيد بن علي ، الشيخ حيو بن دودو، توفي عام 971ه الموافق لسنة 1564م.انظر: ديون حماية وادي ميزاب وترقيته : سلسلة قصور غرداية قصر مليكة "آت أمليشت"، وزارة الثقافة ،الجزائر، 1436ه /2015م، ص 18. ينظر الملحق :05.

[8] محمد بن يوسف اطفيش: شرح كتاب النيل وشفاء العليل رحمه الله، ج2، بيروت: دار الفتح، جدة: مكتبة الإرشاد، د ـ ت ـ ط، ص 554.

[1] إميلي ماري قواشون: مرجع سابق، ص 224.

[2] قشار بالحاج: مرجع سابق، ص74.

[3] الملحق: رقم 07

الذي عمل جهداً لكسر هذا المعتقد. [1]

وقد كتبت عنه الباحثة الفرنسية Floriane Morinحيث قالت:

"في الدراسات الأنثوغرافية المخصصة لتقاليد الميزابيين، يبدو وجود الفخار على قبور بعض أجزاء المقابر".[2]

ثم يقوم أحد العزّابة بدعاء الافتراق، ثم بدرس توجيهي أمام الحاضرين المنهمكين بالبكاء، فيستغل المرشد تلك اللحظات المؤثرة بالموت ليؤكد على عظمة الله وقدرته على الأخذ والعطاء، وأن الوقت قصير لابد فيه من معاشرةٍ صالحةٍ وتوبةٍ قبل الرحيل والعمل للآخرة.

يستمرّ قراءة القرآن في قبر الميت ليلاً، ويتكفل بذلك قارئان أو ثلاثة لمدد متفاوتة، ثم يقوم أحدهم بالدوران حول القبر، يقرأ سورة "يس"، وبعدها يقول» :فأغشيناهم فهم لا يبصرون«، قصداً منه الحجاب على الميت ليحفظه الله.

ثم يُلقَّن له الشهادة، فيناديه باسمه مضافاً إلى اسم أمه:

يا فلان بن فلانة، ثلاث مرات، ثم يقول له:

"قل كما كنت في الدنيا: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن أمامي، والكعبة قبلتي، والمسلمون إخواني، والكافرون أعدائي"،

مصداقاً لما ورد في حديث النبي ﷺ« ...: إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَسَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابَ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عِندَ رَأْسِ قَبْرِهِ، ثُمَّ يَقُلْ: يَا فُلَانُ[3].»

ثم تكون التعزية بمصافحة أولياء الفقيد والترحم عليه بقول:

»دابريد دنغ أطلب ربي أنملاقا ماني وأونتفيريق الدونيت لفراق«،

ثم في الليل تمتلئ دار الميت بمن يرغب في مشاركة مجلس ما تيسّر من القرآن الكريم ليلة أو ثلاث ليالٍ أو أكثر.

لأن هناك من يوصي في الوصية بمقدار لمن يُوصى عليه، وكم يُقرأ عليه في قبره، ويوجد ما

---

[1] ناصر بالحاج: مرجع سابق، ص 217.

[2] [2] Floriane Morin:"Une collection de ceramiques du Mzab au Musee d'ethnographie de Geneve ، Horizons maghrebins ،76، Presses Universities du Mirail ، 2017، P5-4

[3] قشار بالحاج: مرجع سابق، ص 75.

يقرره المسجد، ويوجد من يوصي بعدم القراءة . وهم القلة القليلة . اعتقاداً بأن القراءة للأحياء وليست للأموات، وذلك كوعظةٍ وإزالةٍ للكدر عن أقاربه.[1]

المطلب الثالث : تنفيذ الوصية

تُقرأ الوصية بعد الدفن مباشرة من أقرب قريب في جوٍّ عائلي ليُعلم ما فيها قبل إتمام إجراءات التجهيز.

فالموت حقيقة كونية حتمية لا يُستثنى منها أحد، مهما طالت به الحياة، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2].

وانتقال النفس إلى كمالها الحق، ... فكان بذلك باباً للسمو الأخلاقي والتزكية[3].

المبحث الثالث: موسم الزيارة

هو عيد الربيع أو "شم النسيم" أو "عيد الزهور"، يستقبل فيه المزابيون فصل الربيع ليشكروا ويحمدوا الله على نعمه التي مَدَّها عليهم طيلة موسم الشتاء، "لكي يحفظ مزروعاتهم ويبلغها حتى تؤتي أكلها ويحفظها من الحوائج والآفات."

يُقام هذا العيد في أوائل إبريل، وفي أول اثنين منه بالضبط، وتدوم يوماً كاملاً من الصباح الباكر حتى أذان المغرب.

كانت سابقاً تبدأ بتجمع النوادر في الصباح الباكر، وبعد الضحى ينطلق فوج الطوافين حول الغابة[4].

يتم الإعلان عن موعد الزيارة وانطلاقها في المسجد من طرف هيئة العزّابة، وحتى تسميتها كانت منهم، أما عن بدايتها فلم يُسجَّل تاريخٌ معينٌ لها، لكنهم كتبوا عن وصفها وسردها ومواقعها على شكل مخطوطات في بني يزقن وغرداية والقرارة وغيرها.

المطلب الأول : الجولة الصباحية و المسائية حول البلدة

1- الجولة الصباحية:

يخرج في الصباح الباكر الطلبة وبعض العزّابة وطلبة إرْوَان وتلاميذ المحاضر وعامة الناس، ويبدؤون بصلاة الاستسقاء مثلاً في العطف لتأمين مواردهم الزراعية وإعادة تغذية المخزون المائي للشرب والتزويد وشكر نعم الله علينا[5].

---

[1] صالح بن عمر اسماوي: مرجع سابق، 156.

[2] آل عمران: الآية 185.

[3] أحمد بن محمد (ابن مسكونة): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م، ص85.

[4] الأستاذ ويرو الحاج يحي إبراهيم: **معالم الحضارة في واحة غرداية من خلال الوثائق الأرشيفية (زمامات عرش مزاب**

[5] أبو بكر صالح بن عبد الله: أزّيّارّتْ بسم الله ياالله يارحمان يا رحيم يا الله ارحمنا، ميزاب ميديا، ط2، غرداية، 2025م، ص 5.

وبعد الانتهاء من الصلاة، يطوفون حول البلدة فيتبعون المواقع الأثرية ليتعرفوا بها خلال هذه الجولة، وهم في سيرٍ منتظمٍ بيضُ الثياب، يرددون أسماء الله مستغيثين به، يردد المشاركون أدعية وأذكاراً جماعية مثل:

«باسم الله يا الله يا رحمن، يا رحيم يا الله ارحمنا،[1]»

وعلى واجهة الموكب يرددها العزّابة، ومن وراءهم العامة، حامدين الله وداعين أن يحفظ البلد من شرّها ويبارك في ثمارها في فصل الربيع، بعد ما انتهى الفلاحون من جني التمر وتذكير النخيل[2]، وبداية وقت حصاد القمح.

عند وصولهم في كل مرة إلى معلم أثري، يحطّون للاستراحة ويقرؤون ما تيسّر من القرآن، ويُقدَّم لهم دروس فقهية ومعلومات تاريخية حول هذا المعلم، ثم يُطلقون البارود ليُعلم أهل المدينة بمكان وجودهم[3].

وفي منتصف النهار يتناولون وجبة الغداء المكونة من التمر والحليب في أحد المعالم، لأن لكل قصرٍ معالمه، فمثلاً في العطف [4] يقفون على عتبة مقام الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ليست مقبرة وإنما مصلى شاسع المساحة)، وهناك تُصلَّى صلاة الظهر جماعة.

-2الجولة المسائية

في العشية من ذلك اليوم يخرج سكان البلدة إلى الوادي أو إحدى المصلّيات، حيث تقع الخَتْمَة وتوزيع الصدقات والمعروف على الجميع شرفاً لأضرحة شيوخها وأوليائها، بذلاً في ذلك أن يُطلب منهم الحصول على الخدمة والتبرك بهم.

فأبواب المدينة تُغلق، ولا يُعفى إلا من كان مريضاً مزمناً، وحتى كبار السن معنيون بذلك، يجتمعون في السوق الخارجي أو في دكاكين الباب الكبير إذا كانوا لا يستطيعون الوصول إلى مكان التجمع العام، الذي لا فرق فيه بين الفقير والغني، لختمة القرآن والدعاء والابتهال والتضرع

---

[1] أبو بكر صالح بن عبد الله: **أزّيّارّتْ بسم الله ياالله يارحمان يا رحيم يا الله ارحمنا**، ميزاب ميديا، ط2، غرداية، 2025م

[2] **النخيل (التمر)**: يعتبر المصدر الأساسي والرئيسي من حيث المنتجات الغذائية في تلك الفترة، وإلى الآن.

[3] حاج عاشور ناصر: **عيد الزيارة (عيد الزهور) بميزاب القرارة ولاية غرداية يوم الجمعة 26أفريل**

[4] العطف: اسمها بالبربرية "تاجنينت" تأسست سنة 402ه" 1012م.يُنظر : الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، مصدر سابق، ص109.

إلى الله أن يسقي كل الوطن ويحفظه من كل شر وبلاء.

ويُوزَّع اللحم على صغار الطلبة من الصبيان، فكل من وصل إلى سورة الملك تتاح له الفرصة للالتحاق بمجلس القرآن إكراماً لهم وتشجيعاً على النشاطات المتعلقة بحياتهم اليومية.

ب/ حظ النساء من الزيارة:

من عادة النساء في هذا اليوم أن لهن عاداتهن داخل المدينة، يبدأن بتزيين أنفسهن وللبنات الصغيرات، وأما العرائس اللاتي تزوجن في ذلك العام، حتى وإن لم يكن أزواجهن حاضرين في المدينة أو كانوا غائبين، فلهن الحظ في التزيّن انتظاراً واستعداداً لضيافة أهلها حين يزورونها، فتكرمهم بالحليب والتمر، فيُلقون التحية والسلام عليها بالتوبة والقبول[1].

المطلب الثاني : أهدافها

تتجلى الأهداف الرئيسية لعيد الزيارة، المعروف محلياً بـ(أَزْيَارْتْ)، فيما يلي:

أولاً :التعبير عن شكر الله تعالى على نعمة الغلة الموسمية التي أنعم بها على الأهالي، بما فيها من محاصيل كالقمح والشعير والعنب، إلى جانب الفواكه وأشجار النخيل، وهو ما يجسد التوسل لحفظ هذه البركات، وخاصة في بداية الموسم الصيفي.

ثانياً :طلب الحفظ الإلهي والحماية للقصر والواحة من كل مكروه، من خلال التضرع والتوسل.

ثالثاً :تعزيز الوعي التاريخي من خلال زيارة المعالم، فهي فرصة تربوية ثقافية تاريخية لزيارة المعالم التاريخية واستلهام العبر منها، وبما يعزز الحس الانتمائي دون التقديس للأشخاص أو الأماكن. فالأهداف لا تتوقف عند تمجيد الرموز، بل تتجه نحو استخلاص القيم والعبر التي بُني عليها المجتمع المحلي.

فالمؤمن مطالب أن يشكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة، تصديقاً لقوله تعالى:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2].

رابعاً :نقل التراث إلى الأجيال من خلال تلقين التاريخ المحلي للأجيال الجديدة بطريقة تفاعلية محبّبة تراعي المستوى الإدراكي للصغار، كما تساهم في تكوين وعي حضاري يربط الماضي بالحاضر ويغرس شعوراً بالهوية والخصوصية الثقافية.

[1] اسماوي صالح بن عمر: مرجع سابق، ص 153.

[2] سورة **إبراهيم**: الآية 7

خامساً :تقوية الأواصر العائلية وصلة الرحم من خلال اللقاءات العائلية التي تُقام على هامش هذه المناسبة، ووصل ما انقطع من الروابط بسبب بُعد المسافات أو انشغالات الحياة اليومية.

سادساً :إنهاء الأعمال الصالحة في الدنيا بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، يقول الرسول ﷺ: ‹‹كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها ولا تقولوا هجراً[1].››

المبحث الرابع: مؤتمر لا إله إلا الله

هو عبارة عن لقاءات ومبادرات نسوية 100% عمومية ذات طابع اجتماعي، تُسيَّر تحت إدارة وتنظيم هيئات الغاسلات) تِمْسِرِدِينْ(، وتنعقد في فصل الربيع من كل عام، خلال شهر ماي، في مدن مزاب بالتناوب.

المطلب الأول : جلسة التهيئة للملتقى

تجتمع هيئات الغاسلات في مقر الاجتماعات بالمجلس، كروضة الشيخ باعبد الرحمن الكرثي ومجلس أبي مهدي عيسى، وهما أقدم وأعلى مجلسين في المجتمع المزابي، يقعان في مليكة، وتشتهر هذه الأخيرة بذلك[2].

تجتمع هيئات الغاسلات في روضة الشيخ باعبد الرحمن الكرثي كاجتماع تمهيدي، يتدارسن فيه المسائل الاجتماعية المستجدة وكيفية معالجتها بشتى الوسائل: بالنصح، بالتوبة، بمد يد العون، وفيما يخص أمور دينهن، ومحاربة البدع والزيادة والنقصان في بعض الأمور مثل قوانين الأعراس (اللباس) والمآتم، وإبلاغ ملاحظاتهن لمجلس العزابة.

بحيث "فإن العزابة يتفاوضون معهن ويستشيرونهن فيها، ويقبلون اعتراضهن إذا كان وجيهاً لأنهن مخلصات أمينات"، ومعرفة العضويات الجديدات المنضمات إلى الهيئة.

ثم بعد ذلك يُحددن الجدول الزمني لأيام العمومية للقاءات في قصور الخمس آنذاك، حتى يتسنى لكل قصر تنظيم وتأطير نسائه واستقبال الوافدات من القصور الأخرى للمشاركة في مختلف المهام المرتبطة بتحضيرات الملتقى.

---

[1] الشيخ حمو بن باحمد بابا موسى رحمه الله (ت1376ه / 1957م): الزِيَّارَتْ آغرم نتغردايت مناقب وكرامات الأولياء لمشايخ الإباضية، تع ـ تح: الناصر بن حمو أويابة، جمعية الشيخ إبراهيم أطفيش لخدمة التراث، ط1، دـ م ـ ط، د ـ س، ص 18.

[2] بوعروة بكير: النظّام النسوي الديني " تِمْسِرِيدِينْ" ودوره في تسير شؤون المجتمع الأنثوي في قرى وادي مزاب، مجلة الواحات للبحوث والد راسات، جامعة غرداية، ع 1، غرداية، الخميس 15أفريل 2021، ص 1325.

المطلب الثاني : يوم و مدة الملتقى

يستغرق اللقاء يوماً كاملاً منتظماً لتلاوة الذكر الحكيم، ينطلق الملتقى من غرداية وينتهي في العطف، وتبقى مدينتا بريان والقرارة تُقِيمانه على انفراد لبعد المسافة بينهما وبين المدن الأخرى[1].

بعد أسبوع من هذا الاجتماع، تنطلق الملتقيات يومي الإثنين والخميس[2]، ويُفتح الملتقى بتلاوة قسط من القرآن الكريم "يُفتتح فيه بدعاء الاستفتاح وتلاوة سورة الفاتحة وبعض سور القرآن الكريم" (يس . الملك . خاتمة السور)[3].

ومن هنا أُطلقت التسمية على المؤتمر النسوي، وتتخلله جملة من الأذكار والأدعية، ثم تلاوة "لا إله إلا الله" ألف مرة، والتوجيه والتذكير وتوزيع الصدقات.

وبعد الغداء، تتخلله فترة استراحة لأداء الصلاة في منازلهن (للعامة)، ويعدن عند نهاية المساء لسماع الأوامر والعادات التي ذُكرت مسبقاً.

أما بالنسبة للغسالات) تِمْسِرِدِينْ (والمرشدات، فيبقين ويبتن في مكان الملتقى.

وهذا المؤتمر سائر عبر القرون وإلى الآن، وكوني امرأة ميزابية، عندما يتسنى لي الحضور فيه، فلي منه ما يفيدني لأمر ديني في الدنيا وللآخرة.

المطلب الثالث : أهداف المؤتمر

أولاً :شكّل مؤتمر (لا إله إلا الله) في وادي مزاب إطاراً دينياً واجتماعياً مستقلاً، من خلال تثبيت حقوق المرأة الشرعية وحفظ كرامتها، كما تم التأكيد على واجباتها في ظل التواجد العثماني في الجزائر.

ثانياً :الإشراف على حفلات الأعراس والمناسبات الدينية والاجتماعية كيلا يكون هناك إسراف أو غناء، ومن يتعدَّ ذلك يُحكم عليه بـ(البراءة)[4].

---

[1] حمو محمد عيسى النوري: مرجع سابق، ج1، ص176.

[2] يوسف بن باكير الحاج سعيد: مرجع سابق، ط4، ص 70.

[3] الشيخ صالح بن عمر سماوي: **مؤتمر لا إله إلا الله ودوره في الحياة الاجتماعية للمزابيين**، نِيرْ، التراث الوطني الجزائري، mailto:nir.projet@gmail.comالجزائري، إب 2025/07/25م سا 16:35

[4] **البراءة:** هي البغض في الله بالقلب لمن ثبت ارتكابه للكبيرة، وعدم الاستغفار له وعدم الدعاء له بخير الآخرة وهي من الأصول العقديَّة المنصوص عليها في الكتاب والسنة ولها أقسام.... براءة أشخاص: هي بغض شخص بعينه عند إظهاره الكبيرة حتى يتوب، واختص الإباضية باستعمال هذا المصطلح وتترتَّب عنها أحكام متفاوتة على حسب درجة المعصية منها: الابتعاد عن العاصي، تخطئة أفعاله، التشهير به، هجرانه تخلي المسلمين عن محبته، .... وقد اتُّخذ هذا المبدأ في نظام

"وإذا تردّت امرأة من وادي ميزاب في المعصية ولم تجد فيها موعظة، يتبرأ منها المجلس الديني النسوي في مسجد النساء".[1]

ثالثاً :مثّلت كلمة (لا إله إلا الله) نواة العقيدة وروح المنظومة التربوية، إذ لم تُختزل في بُعدها اللفظي، وإنما بدورها المحوري بوصفها الحاضنة الأولى للقيم التوحيدية، تُنشئ الأجيال على الاستقامة والوعي الديني الراسخ.

رابعاً :محاربة الآفات الاجتماعية والبدع الفاسدة المتناقضة مع الشريعة الإسلامية في كل النواحي والأحوال.

خامساً :يُعنى المؤتمر بالإجابة عن القضايا الفقهية المتعلقة بالنساء والنظر في أحوالهن الدينية (الطهارة، الزواج، الطلاق، المواريث) من خلال إصدار توجيهات شرعية تُراعي خصوصيتهن بما يضمن توجههن وفق مبادئ المذهب الإباضي، تجسيداً لقوله تعالى:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.[2]

سادساً :سعى المؤتمر إلى تعليم المرأة المزابية تعليماً بسيطاً قائماً على محورية ترسيخ المبادئ والتعليم الديني، والتدقيق بين الحلال والحرام في أهم وأدق الأمور بالنسبة لها.
وما هو شائع ويُروى في هذا الصدد أن الأم عند وداع ابنها وخروجه من المنزل في رحلة للسفر سعياً لطلب الرزق توصيه وتقول:
"يا بُني، حافظ على الصلاة في وقتها وبطهارة، واتّقِ المال الحرام، والتزم الحلال[3]".
وإلى الآن، هذه العادة ما تزال تُمارس.

سابعاً :لقد مثّل مؤتمر (لا إله إلا الله) مناعةً جماعية ودرعاً واقياً مكّن مجتمع وادي مزاب من مواجهة مختلف التحولات والتغيرات التي عرفتها الجزائر، مما أبرز استيعاب المرأة المزابية الشامل والدقيق لمختلف جوانب الواقع الذي تتدخل فيه هذه التغيرات، سواء في ظل الحكم

العزابة بالمغرب وسيلة اجتماعية رادعة صانت المجتمع الإباضي من الانحراف إلى حدٍّ كبير. ينظر: معجم مصطلحات الإباضية: مرجع سابق، ج1، ص101. 102.

[1] الإباضية في كوكب التاريخ: مصدر سابق، مج3، ص 469.

[2] **سورة التوبة**: الآية 71.

[3] حمو محمد عيسى النوري: مرجع سابق، ص252.

العثماني أو التهديد الإسباني أو الاحتلال الفرنسي، مما عزّز تماسك المجتمع وصموده، "حتى يتم التصرف نحوها بخطة دقيقة وموجَّهة بعيداً عن ردود الفعل والعشوائية[1]."

وعلى إثر ذلك أُعطي مثال حول الأزمة الغذائية وتدهور القدرة الشرائية التي تكررت في مختلف المحطات التاريخية التي مرّت بها المنطقة خلال الفترة العثمانية، خاصة ما بين سنتي 1779م و1811م، والمتمثلة أيضاً في الجفاف وفترات الفيضانات واجتياح الجراد وإتلاف المحاصيل، وبالتالي تناقص الإنتاج وارتفاع الأسعار، لذا كان للمرأة دورٌ محوريٌّ في مواجهة هذه الظروف الصعبة[2].

كما أثمنت الباحثة سبيقة Spiga ذلك في دراستها عن تحولات القيم في المجتمع المزابي، بضبط واقع الأسرة الميزابية في مرجعيتها، إذ قالت:

"إن دور هذه المرجعية الدينية هو ضبط المجتمع وتنظيمه، ويرتكز التنظيم حول الأسرة وكذلك الأنشطة التجارية والاقتصادية[3]"...

وأما عن حفاظها على التراث وعاداتها المادية والمعنوية، فقد قالت الباحثة نفسها:

"إن أهداف المؤسسات التعليمية تهدف إلى تعليم المذهب الإباضي بقدر ما تهدف إلى إنشاء زوجة وأمّ المستقبل، مما يمنحها دوراً استراتيجياً في نقل قيم المجتمع... مما يضمن استمرار التراث سواء كان مادياً أو معنوياً، وهذا ما يقدّم حماية للهوية[4]".

[1] د: تامتلت إبراهيم ـ ط.د: بن يحي أسماء: القيم الداعمة للتحرر من الاستعمار الفرنسي لدى المرأة الجزائرية بمنطقة مزاب، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية ـ ع2، مج 06، 2021م، ص126.

[2] فلة القشاعي المولودة موساوي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771- 1837)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر ،1989- 1990، ص 12.

[3] Nouha Spina.)2010(Les Modalites de Transmission des Valeurs Ibadites dans la Famille Mozabite Contemporaine.Universite Mentouri Constantine. Magister option Anthrologie et Culturelle. P153 /154

[4] Nouha Spina.)2010(. Reference précédentes. P150

خلاصة الفصل

تُظهر دراسة هذه العادات والتقاليد بطقوسها في بني ميزاب، من الزواج والمهر إلى مراسم المأتم والجنائز، مروراً بمواسم الزيارة ومؤتمر (لا إله إلا الله)، كيف أن حياة الإنسان في هذا المجتمع متدرجة على مراحل، كل مرحلة فيها طقوس تعكس قيمه وهويته الثقافية.

منذ الولادة تُصاغ هوية الفرد عبر عادات تُرسّخ الانتماء الأسري والاجتماعي وتؤطر سلوكه ضمن شبكة العلاقات التقليدية.

ومع مرحلة الشباب يصبح الزواج والمهر إطاراً لتنظيم الحياة الأسرية وتحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات، وتأكيد دور الفرد ضمن الجماعة، بينما تمثل المآتم والجنائز بُعداً أخلاقياً وروحياً يربط بين الحياة والموت، ويجعل من التجربة الفردية جزءاً من إرث جماعي حي، مع الحفاظ على الطقوس والموروث الثقافي المتراكم عبر التاريخ.

أما مواسم الزيارة ومؤتمر (لا إله إلا الله) فهي فضاءات اجتماعية ودينية حيّة توثّق وحدة المجتمع وتعيد إنتاج القيم والممارسات الثقافية والدينية التي شكّلت تاريخ وادي مزاب.

ومن خلال هذا التسلسل التاريخي الوصفي يمكن القول إن العادات والتقاليد تمثل خريطة معرفية مكتملة تربط بين مراحل حياة الإنسان والمحيط الاجتماعي والروحي، وتحول التجربة اليومية إلى إرث ثقافي وتاريخي متجدّد، يعكس عمق ووعي المجتمع الميزابي في فهمه للوجود والعلاقات بين الفرد والمجتمع، بين الماضي والحاضر، وبين الدين والثقافة.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : الحياة اليومية

- تمهيد
- المبحث الأول : الطعام واللباس
- المبحث الثاني : المولد النبوي
- المبحث الثالث :العمران
- خلاصة الفصل

تمهيد

قصور مزاب عبارة عن منظومة عمرانية متأصلة، وهي امتزاج بين الإبداع العملي الذي اكتنفه الصمود من أجل البقاء تأقلماً وتكيفاً حسب مناخ وطبيعة المنطقة الصعبة، وبين الصيانة للحقوق الجوارية المدعمة بترسانة من النظم والأعراف الأخلاقية المعبر عنها بـ"الحريم"، إذ تجد لكل موضع عمراني حيوي حريمه، سواء داخل القصر أو على مسافات محددة خارج أسواره... مما أكسبها لمسة جمالية بديعة وميزة عمرانية تكاد تنفرد بها عن غيرها.

يشكل تناول الطعام وارتداء اللباس وإحياء العيدين ملامح أساسية من المعيش اليومي في أي مجتمع، لما تحمله من دلالات ثقافية ودينية واجتماعية.

في وادي مزاب تجلت هذه المظاهر بأسلوب يعكس التدين والاعتدال والارتباط الوثيق بالتقاليد المحلية، وليست مجرد عادات عابرة، بل كانت تعبيرات صادقة عن روح جماعية راسخة، بين لقمة تحفظ نعمة، ولباس يصون الهيبة، وتكبيرات تصدع في صباح العيد، تتكشف لنا ملامح مجتمع حافظ على هويته وسط تحولات العهد العثماني دون أن يذوب في تياراته، ومع مرور الزمن وتغير الظروف.

المبحث الأول : اللباس و الطعام

المطلب الأول : اللباس

يتميز الرجل المزابي بهندامه ولباسه التقليدي الأصيل، وهو جزء من هويته، ومنه:

-3الشاشية (تْشَاشِيتْ):

كانت في البداية طربوشاً أحمر مثل المشارقة في بلاد الشام والتونسيين، ثم تطورت إلى طاقية صوفية بيضاء، والطاقية البيضاء التي يضعها الرجل المزابي على رأسه تُسمى "أَتْشَاشِيتْ."

وتُعتبر لدى المجتمع المزابي من الرموز التي يعتز بها، ولا يخرج من بيته عاري الرأس في جميع الظروف، ويرتديها في المناسبات الدينية والحفلات والأعراس.

يلبسها الطفل الصغير، والشاب، والشيخ الكبير، وقد يلف الكبار حولها شاشاً "لَحْفَايَتْ"، ولا يُسمح عرفاً بالدخول إلى المساجد والحفلات العامة بدون الشاشية والرأس عارٍ، إذ يُعتبر ذلك من خوارم المروءة[1].

وكان من العيب الكبير أن يظهر الرجل عاري الرأس دون أن يضع عليها شاشية أو يغطّيها بعمامة.

-4القندورة (تِيشْبَرْتْ):

هي جبة أو عباءة من الصوف الأبيض غالباً تُلبس في الشتاء، وتحتها قميص الكتان، تكون قصيرة نسبياً بدون أكمام ولا "تاكلمونت"، تُسمى بالمزابية "تِيشْبَرْتْ."

وهي لباس مغربي عام كانت تُنسج قديماً من الصوف في المنسج التقليدي في كل البيوت، ثم أصبحت تُخاط خفيفة من القماش الأبيض تُلبس للربيع والخريف، وهي عموماً لباس الصلاة والمساجد والأعياد والمناسبات الدينية والأفراح وكذلك في المآتم.

توجد أنواع أخرى: "تِيشْبَرْت نْ أَضُوفْتْ"، "تِيشْبَرْت نْ قَارَابِيلَا."

-5القشابية (تَقَشَّابِيتْ):

هي لباس مغربي يُنسج من الصوف أو من الوبر السميك والخشن للتدفئة، تُسمى بالمزابية "تَقَشَّابِيتْ"، وتُلبس في فصل الشتاء لأنها تقي الجسم من البرد والرياح والمطر.

ولها منافع كثيرة أثناء الخروج ليلاً للتستر والاختفاء، خاصة أثناء الحراسة الليلية والرحلات إلى الصحراء. وقد كانت القشّابة إلى عهد قريب لا تفارق المزابي في سفره شتاءً ولا صيفاً.

[1] يوسف بن بكير حاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3 ،المطبعة العربية، غرداية، 2014 ،ص1.

وغالباً ما تكون القشّابية البيضاء للمسجد والحفلات العامة، أما القشّابية السوداء أو ذات اللون الغامق فللخروج ليلاً والحراسة أو للسفر.

يلبسها الرجل عند القر الشديد أو المطر في الشتاء فوق الجبة، وإذا وصل مكان العمل خلع القشّابية وزاول عمله بدونها.

- **تاقشابيت تامللات:**

العباءة البيضاء، وهي طويلة وبأكمام وبها "تاكلمونت"، تُصنع من الصوف الأبيض الثقيل، وتُلبس في الشتاء، وللمسجد والأفراح وكذلك في المآتم.

وتوجد عدة أنواع: "تاقشابيت نْ أَضُوفْتْ تَامْلاَلْتْ"، "تاقشابيت نْ أَضُوفْتْ تَابَرْشَانْتْ"، "تاقشابيت نْ بَرقَانْ الوَبَرْ."

- **تاقشابيت تاعسليت:**

تُصنع من الصوف الثقيل البني، وتُلبس في الشتاء، وتُستعمل في الأيام العادية، وهي لا تُلبس في الأفراح ولا المآتم.

6- اللحفة (لَحْفَايَتْ):

"لَحْفَايَتْ" بلام مفتوحة وحاء ساكنة وفاء مفتوحة ممدودة وياء مفتوحة، قماش أبيض اللون رقيق يُلف حول الرأس بطريقة خاصة، يرتديه العزّابة أو "إِيرْوَانْ" بدل "أَحُولِي" في غير المناسبات العامة، إلا أنه أصبح اليوم لباساً رسمياً تتخذه بعض حلق العزابة دون غيرها.

كانت في البداية تُصنع من الصوف، يلفها الرجل حول رأسه وعنقه في الشتاء، أو يشدها بخيوط صوفية بيضاء أو سوداء يلفها فوق رأسه كالعمامة، وقد يشدها بعمامة صغيرة من الشاش الأبيض.

وعندما يشعر بالدفء قد ينزع لحفته ويبقي الشاشية لتقيه من أشعة الشمس، ولا يُبقي رأسه عارياً إلا عند النوم، وكان من العيب الكبير أن يظهر الرجل عاري الرأس دون أن يضع عليها شاشية أو يغطّيها بعمامة.

وقد تحولت اللحفة من الصوف إلى القماش الأبيض الرقيق، يلفها الرجل حول الرأس بطريقة خاصة، ويرتديها العزابة أو طلبة "إيروان" بدل "أَحُولِي" في غير المناسبات العامة، وهو الزي الرسمي للجلوس في مجالس تلاوة القرآن، ولا يُسمح بالجلوس في مجالس القرآن بغيرها.

وهي نفسها تُلف حول الرأس بشكل مغاير فتصبح شاشاً لحرّ الصحراء، أو نقاباً مثل رجال الطوارق، فلا تظهر من وجه الرجل إلا عيناه.

-7السروال التقليدي:

يتميز الرجل المزابي بزيه التقليدي، ومنه السروال التقليدي ذو الأصل التركي أو الكردي، وهو منتشر في بوادي مصر والشام، ويُسمى أيضاً بالسروال المزابي أو "أسْرَاوَل نْ دَلْيُوتْ."

وهو سروال عريض فضفاض مترابط غير مفصل على الرجلين، يخرج به صباحاً إلى السوق وقضاء الحوائج.

وقديماً كان يرتدي الرجل سراويل إلى تحت الركبة بـ"التكة"، وحزام عريض من الجلد يشد به خصره فوق الجبة، وسكين يتدلى في غمده الجلدي الأحمر في جانبه الأيسر لا يفارقه في جميع الظروف.

ويرتديه الرجل المزابي أثناء العمل، وفي غير أوقات الصلاة والذهاب إلى المسجد، فيذهب به إلى الغابة للعمل وحتى تسلّق النخيل.

ومن هنا يُعتبر لباس البنطلون أو السروال الإفرنجي الطويل مكروهاً بشدة في شوارع المدينة[1].

-8أَحُولِي (الحائك الصوفي الأبيض):

ومن الألبسة التقليدية أيضاً الحائك الصوفي الأبيض، وهو لحاف كبير يُسمى بالمزابية "آحُولِي"، يميّز عند بني مزاب الطلبة عن العوام، يرتدونه في المساجد والمناسبات الدينية والاجتماعية، حيث يتغلفون فيه من القدم إلى الرأس قطعة واحدة، وهناك عدة طرق لارتدائه.

ولم يكن "آحُولِي" في القديم يُغسل، بل يُبيّض بالتربة البيضاء أو الجبس المحروق (لوس)، بخلاف حائك النساء، فهو أخف قليلاً، لذلك كان يُنظف تحت بخار الكبريت الملتهب.

وكان قديماً يُبخّرون "الجرد – آحُولِي" على نار المواقد في ليالي الشتاء الباردة لتطهيره ومن أجل النظافة والقضاء على الحشرات الضارة.

-9البرنوس:

ومن الألبسة التقليدية كذلك البرنوس الذي يوضع فوق القندورة، وقد كان إلى الخمسينيات من القرن الماضي لا يجرؤ من يحترم نفسه على دخول سوق بني يزقن وقت رواجها بين العصر والمغرب، من لم يرتدِ برنسه، ولو كان صبيًّا دون الحُلم.

آبرنوس وتابرنوست: وهي تتكون من قطعة من نسيج تُفصَّل بشكل عباءة فيها غطاء للرأس يسمى "تاكلمونت". ويوجد عدة أنواع: آبرنوس آملال ن أضوفت، آبرنوس ن برڤان الوبر.

[1] خالد بوزيد ومحمد التريكي، المعمار والممارسة الاجتماعية، مزاب بين الماضي والحاضر، أطروحة المرحلة الثالثة هندسة وتعمير، المعهد التكنلوجي للهندسة والتعمير، تونس، 22, 1989

-10ألبسة مختلفة:

- المنديل (إيمندال) :يُستعمل المنديل لتغطية الطفل الصغير الذكر منذ ولادته.
- الكفن :وهي قطعة مستطيلة من نسيج الصوف المحاك محليًا، تُستخدم للميت، تُلف فيها الجثة فيُغطى بها جسمه، ولا تُخاط بالإبرة والخيط.

المطلب الثاني : الطعام

-1تيحومزين(tihumẓin) "ⵜⵉ ⵅⵓⵎⵣⵉⵏ"

طبق البركوكس، أو كما يُقال له بالمزابية "تيحومزينⵜⵉⵅⵓⵎⵣⵉⵏ "، هو طبق شعبي بامتياز، فهو من عادات وتقاليد المجتمع المزابي، خاصة ما يعرف بـ"أنفاشⴰⵏⴼⴰⵛ "، وهو الطبق الذي يُقدَّم عند التقاء العائلات والأحباب، وكذلك في الأعراس وحتى في المآتم. ومعظم العائلات تُفضل تحضيره في "إيننايناⵏⵉⵏⴰⵢⵏⵉ ⵖⵓⵙⵙⵓ "، أي المطبخ التقليدي.

-2تِرفاس لغويًا:

تِرفاس (تسمية أمازيغية)، ويُكتب (ترفست)، وهو مفرد ويجمع على (ترفاس)، وينطقها بعض القصور مفخمة) ⵜⵉⵕⴼⴰⵚ تيرفاص .(tiṛfaṣ تيرفاس منحوتة من لفظتين: "تير إيفس" وتعني "بدون بذور"، أي لا تُزرع.

-الكمأة لغويًا:

كلمة "الكمأة" تعني الشيء المستتر، وقد وردت هذه الكلمة في المعاجم العربية، حيث أُطلق هذا الاسم على هذه الفطريات لاختفائها تحت سطح الأرض. ويُقصد بها الثمار الداكنة اللون، وسميت المائلة إلى الحمرة بالجباه، والفاتحة اللون أو البيضاء بالفقع. وهناك أسماء أخرى مثل الفُجيجة، وجدري الأرض، وغيرها في البلاد المختلفة.

-تعريف الترفاس:

الترفاس أو الكمأة يُعد من ألذ وأثمن أنواع الفطريات الصحراوية، وهو عبارة عن فطر بري ينبت في الصحراء، يشبه في شكله وأحجامه ولونه البطاطا، لا جذر له ولا ساق ولا أوراق، وينمو مطمورًا في التربة في الأراضي المنبسطة التي تتجمع فيها المياه وتتكاثر فيها الأعشاب والشجيرات الصحراوية (مثل التقوفت، والقرضاب، والقزاح)، وقريبًا من جذور الأشجار الضخمة. وعندما تنضج الثمرة تتفتق الأرض معلنة عن وجودها، ويكون لونها ما بين الأبيض والأسود، ويصل عدد أنواعها إلى أكثر من عشرين نوعًا مختلفًا في اللون والحجم.

فهو فطر موسمي ينمو بعد سقوط الأمطار، وإن موسم جني هذه الثمرة التي تزدهر بعد أمطار ديسمبر يتواصل من بدايات شهر فيفري إلى أواخر شهر أفريل، وكلما كان موسم أمطار الشتاء جيدًا كان المحصول وفيرًا.

-3أطباق القرع

-3.1تخسَيت تميسَ:

تخسايت أو تميسا هي القرع، وتُعد من أفضل الأطباق رواجًا في الصيف، وتُطبخ بكثرة نظرًا لمحدودية وقتها من شهرين إلى ثلاثة في السنة. وتختلف طرق إعداد طبق تخسايت في وادي مزاب من قصر لآخر، كلٌّ حسب ذوقه وعاداته. ولا يقتصر طهيها على أنواع الكسكس، بل هناك عدة وصفات أخرى.

-3.2أُشّو ن كَرناشا: ⵓⵛⵛⵓ ⵏ ⴽⵔⵏⵛⵛⴰ

أُشّو ن كرناشا هو طبق تقليدي لذيذ جدًا وصحي من الدرجة الأولى، لأنه يُحضَّر من الشعير. فعند طحنه تنتج قشور كثيرة لا تُزال، بل يُفتل بها الكسكس لأنها مفيدة جدًا، خاصة للمعدة، إذ تقوم بتنظيفها، فليس من الجيد الاستغناء عنها.

-4أنواع التمور في آغلان:

أجوجيل (ليتيم)، دالت، أكربوش، تزيزاوت، تاوراغت، تازڤاغت، ناصر أو صالح، تفيزيوين، تايسيبي، تامجوهرت، أُولتقبالا، تزرزايت، إخس ن وتشدين، لڤتنور، أُعوشت، تادمامت، براهيم أُيوب، إغس ن لحيج (العجوة)، إغس ن تزدلت، تامزوارت، تامزوارت ن دلات، ڤمريغ، سبعة بدراع (كاسي موسى)، تنصليت (تنصريت)، تيموسي، أُعروس، تواجات، إيغس ن عيا، ڤاشوش، داود أُوحمو، أكسبا، تمبوبشرت (تامبوتشرت)، إدامبير، بوفود، تاغيوت نوح، إيغس ن كولّا، باباتي.

المبحث الثاني : المولد النبوي

المطلب الأول : المولد النبوي

1- أنارن ذكرى المولد:

يُطبع إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف بمنطقة مزاب بمظاهر وعادات خاصة تستمد جذورها من التراث الثقافي المحلي العريق، ويميزها استعراض بواسطة مصابيح الزيت "أنارن" بقصر بني يزقن.

وعلاوة على الجموع الغفيرة من المؤمنين التي تتوجه إلى مختلف المساجد لأداء صلاتي المغرب والعشاء، فإن العشرة أيام الأولى من الشهر الذي يصادف ميلاد خير البرية، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، تتميز أيضًا بمنطقة سهل وادي مزاب بإحياء سهرات دينية تُخصص لتلاوة القرآن الكريم والمدائح النبوية.

وتكتسي الاحتفالات الخاصة بإحياء ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم على مستوى بلدة بني يزقن العتيقة طابعًا متميزًا، ينبني على تقاليد ظلت راسخة منذ قرون، من خلال استعراض بالمصابيح التقليدية المضاءة بواسطة الزيت والمعروفة باللهجة المحلية باسم "إينارن"، والذي يُنظم لإحياء ذكرى المولد النبوي.

وفي هذا الصدد، يكون سكان قصر بني يزقن بعد صلاة المغرب على موعد مع الاستعراض، حيث تُحمَل المصابيح المضاءة بواسطة الزيت من طرف الأطفال المصحوبين بأوليائهم، وهم يتجولون عبر مختلف أزقة القصر، ويرددون الأناشيد والمدائح الدينية، وذلك قبل التوجه إلى البهو أمام المسجد حيث يُوضع وعاء كبير للسماح للسكان بسكب زيت المصابيح المتبقي.

وأوضح رئيس المجلس الشعبي لبلدية بنورة أن هذا الزيت كان يُستعمل في الماضي، وقبل عهد الكهرباء، لتغذية مصابيح الزيت التي كانت تُستخدم لإضاءة المسجد. وأكد أن هذا التقليد يُقام سنويًا وبالمناسبة نفسها، مشيرًا إلى أن الزيت الذي يُجمع يُعاد بيعه، وتُحوَّل الأموال المحصل عليها لحساب المسجد لتسديد نفقات الكهرباء، في حين تُرجَع المصابيح إلى وظيفتها التزيينية في المنازل إلى حين حلول ذكرى المولد النبوي الشريف للسنة الموالية.

وتابع أنه إذا كانت الاحتفالات المتعلقة بإحياء ذكرى المولد النبوي الشريف قد دخلت عليها بعض مظاهر الحداثة والعصرنة، فإنها لا تزال بمنطقة سهل وادي مزاب تطبعها تقاليد راسخة، سيما ما تعلق منها بالتئام شمل العائلة. ويُعتبر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فرصة لالتقاء جميع أفراد العائلة لقضاء لحظات ممتعة، كما يتم خلالها تناول الطعام الذي يُسقى بالمرق الحلو المذاق، والذي يدخل في إعداده التمر، والمسمى محليًا "أوشو تيني."

المطلب الثاني : من عادات المزابيين ليلة المولد النبوي

في الثاني عشر من ربيع الأول يحتفل الميزابيون كغيرهم من المسلمين في العالم بعيد المولد النبوي الشريف، بما يذكرهم بسيرة النبي محمد ﷺ، وهو احتفال خالٍ من البدع والخرافات، فهو يقتصر على مجالس القرآن الكريم وإنشاد المدائح الدينية من البردة والهمزية وغيرها من المدائح الدينية، والتذكير بتاريخ المصطفى وسيرته لاستخلاص العبر منها، والتأسي بأخلاق الرسول ﷺ، وبيان ما لاقاه في سبيل نشر الدعوة، وهو بدعة حسنة باتفاق كثير من علماء الأمة، لأن الاحتفال به تمكين لمحبته في قلوب المسلمين كبارهم وصغارهم.

1. أهازيج الأطفال في الشوارع:

قبل ليلة المولد بأيام، وعند دخول شهر ربيع الأول، يطوف الأطفال الصغار ذكورًا وإناثًا في شوارع القرارة، ينشدون أناشيد المولد النبوي الشريف استبشارًا بقدومه، وتعبيرًا عن محبتهم لرسول الله ﷺ، ومن أشهرها (باللهجة العامية العربية):

مِيلُودْ أَمِيلودْ ميلودْ النبيء لالة حَلِيمة رَبَّايْة النبِي
أُوسَعْدْنَا أُو سَعْدْ أَمَا حليمة سِي ميلود سيدنا محمد
أبو بكر وَاعْمَر أحدا النبيء لم يَالِيد وَلا يُولدْ مولانا
لالة لالة بنت النبي لالة حَبّيت سيدنا محمد، حَبّيت من زَارُوا
حَبّيت حتى لَحْجَار لِي فُوق اَدْيَارُو أُوسَعدِي بالنبي، صلّى وسلّم عليه
لَمْلاَيْكَة فالسماء، فَرْحُو اَعْظَامِي بِه
سعدنا بنبينا، زيارات لِيكْ دِيمَا
صاحب مكة والمدينة
هذا ميلود ميلود النبي محمد
أصحابُو هَايْ لالة
أَنَّمَّتْ اَرَبّي أَنَّتَفْ إِيكَضْيَانْ
لا بَاب لا مَفْتَاح، لا ضُو لا مَصْبَاحْ
إليك يا ربي وَتْحَنْ عَلِينَا

ويتصدّق عليهم أصحاب المنازل بما تيسّر من الصدقات والحلويات، والأطفال في فرح وسرور يطوفون من بيت إلى بيت مساءً وليلاً.

.2درس المولد:

يلقي شيخ العزّابة درسًا مطوّلًا حول أخلاق الرسول ﷺ وسيرته والعبر المستوحاة من حياته ﷺ، وإسقاطها على حياة الناس فرادى وجماعات، ومدى التزام المسلمين بسنن الرسول ﷺ علمًا وعملًا.

.3حفل المدائح:

وبعد العشاء يبدأ الحفل بمجلس للقرآن داخل المسجد، ثم الحفل الفني في صحن المسجد بأناشيد المدائح الدينية حول حياة الرسول ﷺ، كما تُوزّع الصدقات في المسجد من حلويات متنوعة يتبرع بها المقبلون إلى المسجد على الحضور صغارًا وكبارًا. وخلال المدائح يتلو الشيخ المولودية، ويستمر الحفل إلى الأذان الأول.

المبحث الثالث : العمران

المطلب الأول : الفن المعماري عند مزاب المدينة

-1إنشاء القرى:

لإنشاء بني مزاب مدينة من مدنهم يختارون لها موقعًا، مراعين في ذلك قدرة المدينة على الدفاع ضدّ المغيرين، ووقايتها من فيضانات الأودية، والحفاظ على الأراضي الزراعية ذات التربة الطيبة.

أول ما يقوم به المنشئون بعد اختيار الموقع هو تعيين مكان إقامة المسجد، وتحديد رقعة المدينة بتخطيط سورها.

في القديم غالبًا ما كان السور يتكوّن من ظهور منازل لا تفتح أبوابها إلا إلى الداخل، أمّا في الامتدادات الأخيرة للمدن المزابية فأصبح بعضها يتمتع بأسوار مستقلة عن المنازل، بينها وبين هذه الأسوار شارع عريض.

ذلك هو الحال بالنسبة إلى بني يزقن التي يبلغ طول آخر أسوارها 2500 متر وارتفاعه حوالي ثلاثة أمتار، تتخلله خمسة أبواب وأبراج متفاوتة الأهمية، أشهرها البرج المنسوب إلى الشيخ بالحاج المدفون قريبًا منه.

هذا البرج يعلو المدينة، وارتفاعه حوالي أربعة عشر مترًا، ويتألف من خمسة طوابق، يستند إلى دعامتين تُسمّى الواحدة منهما بالمزابية "بُولِيلا[1]."

-2الحائط بين الجيران:

حظي الجار باحترام كبير في الإسلام، وعلى هذا سار المجتمع المزابي، فيشمل الأمر كل التفاصيل بين الجارين، حتى تعرّض لأدق تفاصيل العمارة بينهما، ومن ذلك الجدار الفاصل بينهما.

فمثلًا: لو بنى أحدهما هذا الجدار وبنى إلى جانبه جاره، فالحائط الذي بينهما لمن بناه، وإن اشتركا فيه فهما فيه سواء، وإن لم يُعرف من بناه منهما فهما فيه سواء.

إذا كان الحائط مشتركًا بينهما فإنهما يُمنعان من الزيادة فيه وكذلك النقصان منه إلا بالتراضي، ويُمنعان من جعل الأوتاد فيه أو الخشب عليه أو اتخاذه مستراحًا.

أما إصلاحه فلا يُمنع منه أحدهما، كأن يطيّنه أو يبني ما انهدم منه، وإن مال على أحدهما فللذي مال عليه أن ينزعه ولا يمنعه جاره.

وإن حدث به شقّ يُصلحانه معًا، وإن لم يكن إصلاحه إلا بهدمه فهما فيه سواء. كما يُمنع على المشتركين في حائط أن يتخذ أحدهم فيه سُلَّمًا للدرج إلا إذا لم يلتصق السلم بالحائط ويترك بينه وبين الجدار مقدار ما تدخل فيه يد الباني[2].

-3المسكن والنّشاطات الأخرى:

للجيران الحق في منع جاره من أن يتّخذ من بيته فندقاً أو حوانيت، أو بيتَ رحى، أو حمّاماً، أو معصرة، أو مجمعاً، أو سوقاً، أو أراد مجلساً قدّام غيره. ومن أحدث تنّوراً بجانب الطريق وآذى الناس بدخانه ولهبه، وتحقق منه الضرر أزاله ولو كان قديماً. ومن اتّخذ رحى في بيته فتأذّى منها جاره، فإن نظر العدول أنّ فيها ضرراً عليه أزالها.

-4الغراسة والجار:

من أراد غرس نخلة أو شجرة فعليه ترك حريم لجاره مقداره أربعة أذرع، وإذا ما تسرّبت مياه السقي إلى الجار فعليه غُرم ما أفسد.

[1] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع 128 ،الكويت، 1988.
[2] العرف في البناء التقليدي بوادي مزاب .، د ت.س .و. م، 2013.

-5المسكن والطريق:

عند إنجاز المدخل يُمنع إخراج الدرج إلى الطريق، كما يجب فتح دفّة الباب أو النافذة نحو الداخل. ومن له دار في شارع العامة أو بيت فله أن يُحدث لها أبواباً حيث شاء، إلا أنه لا يضرّ جاره ولا يقابل بابه باب غيره. أمّا الطريق النافذة للخاصة أو غير النافذة [تاحمّالت] فلا يُحدث من فيها باباً أو غيره إلا بإذن أهلها كلّهم سواء الذين في جهته أو الذين في الجهة المقابلة، وسواء كانوا في أول الزقاق أو في آخره أو وسطه. ولا يجوز إحداث سقف أو تغطية طريق للخاصة إلا بإذنهم، والحال ذاته بالنسبة لمربط الدابة. كما يُمنع بعضهم بعضاً من توسيع البناء إليها حتى وإن كانت واسعة أو كان فيها موضع زائد. ويجوز لصاحب المسكن التسقيف على الطريق العامة إذا كان لا يضرّ بالناس، وكذلك لا يضرّ بالراكب على أرفع الدواب. أمّا إذا اتّسعت الطريق وكانت كالرحبة لم يمنع بعض أهلها بعضاً من إحداث الأبواب والعمارة، إلا ما يضرّ بعض أهل الطريق بعضاً من تطويل الحيطان، إلا إن كان فيها ميلان على جيرانه أو تخوّف من وقوعه أو جعل الظل عليهم[1].

-6السقيفة تسكيفت:ⵜⴰⵙⴽⵉⴼⵜ

تأخذ السقيفة موقعاً في زاوية المسكن كما هو الأمر في المساكن الموجودة في شمال إفريقيا، فهي تعتبر فضاءً فاصلاً بين المسكن وخارجه، فبينما تحجب رؤية ما في المسكن فإن السقيفة تكون مراقبة من الداخل بواسطة فتحة تكون عادة بينها وبين تيزفري أو وسط الدار. كما أن للسقيفة دور العزل الصوتي بين المسكن وخارجه، وتؤدي أيضاً دور فضاء الانتظار لمن يطلب الإذن بالدخول.

للسقيفة دور مهم داخل المسكن، حيث تعمل على نظام التهوية من خلال التيار الهوائي الذي يصل المسكن من فتحة الشباك وباب المنزل، مما يساعد على توفير المناخ الملائم داخل المسكن وخاصة في فصل الصيف.

المطلب الثاني : المنشآت الدفاعية

-1الاستراتيجية الدفاعية لقصور مزاب:

ويشاهد المتجوّل في النواحي القديمة من هذه القرى نماذج للتكتيك الحربي وحِيَل الدفاع عن القرية، في تخطيط بعض الطرق وبناء المساكن، بحيث تجد الطريق ملتوية أحياناً التواء لا مبرر له، لا تستطيع أن تعرف –وأنت الغريب عن القرية– متى تنتهي، ولا كيف تلتوي، ولماذا انبعجت

[1] أبو العباس، القسمة وأصول الأرضين، ص 533.

هذه الزاوية، ولماذا انحسرت الأخرى وهربت عن الطريق، مع ضيق المسافة جداً بين انعطاف وانعطاف. كما نجد الأبراج التي بُنيت على أربع أو خمس طبقات على غاية من حسن مراعاة استراتيجية الحراسة، وعلى مدى نقط متقابلة، ينتقل الخبر إليها واحداً إثر الآخر بالإشارات الضوئية أو غيرها في أقرب وقت. ثم إن الديار كلها في القرية متلاصقة ومتساندة، ويُراعى فيها علوّ معين، فيستطيع من في الناحية الشرقية مثلاً أن يقطع القرية كلها إلى الناحية الغربية والعكس. أما الطرقات فقد احتالوا لها بتسقيف مساحة من عرض الطريق في أماكن معينة.

-2أهم المنشآت الدفاعية:

الأبراج والأسوار المحصّنة في منطقة مزاب من أهم المنشآت الدفاعية والقلاع الراصدة التي بقيت شاهدة على ما شيّدته سواعد أجداد المزابيين وعلى ما أجادته قرائحهم، وذلك لما تقتضيه ضروريات صون معاشهم وحماية قصورهم وذودهم عن حريمهم.

وهي من المعالم الأثرية التي صنّفت كتراث عالمي، منها سور بني يزقن والواجهة الدفاعية لمنازل قصر بنورة وسور غرداية، وغيرها من قصور مزاب، بقي بعضها على حاله كسور بني يزقن، ومنها ما بقيت أجزاء منه وأبراجها كسور لقرارة[1].

ولقد بنى المزابيون لمساكنهم أسواراً لغرض الحماية، وهذه الأسوار تحيط بالتجمع السكني، وهو ما يُعبّر عنه بـ "القصر "أغرم .ومنها ما تكون المنازل تتمّة للسور كما هي الواجهة الدفاعية لقصر بنورة لوجود تلك البنايات على حافة هضبة صخرية تحمل المدينة في موقع محمي، فلا يسمح لها حينئذ باتخاذ الأبواب من الجهة المطلة على الخارج إلا إلى داخل القصر. وتتخلّل تلك الأسوار أبراج، منها رئيسية على شكل مداخل للمدينة وبها أبواب تفتح وتغلق، ومنها لغرض الحراسة، وأبراج أخرى شُيّدت منعزلة عن المدن، منفصلة عن سورها، بنيت على مرتفعات تشرف على المدن والواحة وتراقب سيلان الأودية وتنبئ بجريانها، ولها مهمة الرصد والإنذار عن عدوّ صائل.

وقد اتُّخذ لها أماكن هامة ومواقع مشرفة ومتقابلة مع بعضها لمهمة التواصل السريع، وذلك بواسطة إشارات ضوئية مُعلِمة بخطر أو منذرة بخبر نازل، فيسهل إيصاله إلى المدن. ولقد رُوعي في هندستها المعمارية المتانة والمكان المناسب والطابع الجمالي الذي يوافق طبيعة المنطقة الصحراوية. وقد استُعمل في تركيبتها الإنجازية الحجر والجبس والجير والخشب وهي من جذوع النخل ويقال للواحدة منها بالأمازيغية "تْمَالفْتْ"، وكل تلك الوسائل تستخرج من طبيعة

[1] Andre Ravéreau, Le Mzab une leçon d’architecture, Sindbad, p 52 .

المنطقة وتصنع فيها.

ولا شك أن تشييد الأبراج والحصون قديماً كان من أوكد الأمور وأوجبها لحفظ هيبة الشعوب وصيانتها من غارات الأعداء، أما الآن فصارت من المعالم المخلدة للأمم ومن الآثار التي تُزار، وذلك لما حلّ محلّ عملها أجهزة الأمن من الشرطة والدرك والجيوش.

يتميز كل قصر بنظام دفاعي خاص. فبالإضافة إلى سور بني يزقن الشهير، والذي يمثل أول معلم مصنف بوادي مزاب، نذكر أيضاً الواجهة الدفاعية لقصر بنورة وسور غرداية.

هناك أيضاً أبراج المراقبة المتواجدة على طول الوادي في محيط القصور والواحات، إضافة إلى الأبواب الرئيسية لمداخل القصور. المجموع يشكّل نظاماً دفاعياً متكاملاً بما في ذلك مئذنة المسجد.

ويلي مرحلة اختيار موقع القصر رسم معالم ومواقع الأسوار، حيث تتخلل هذه الأخيرة أبواب المداخل والأبراج، وتحدد محيط القصر. في السابق كانت المساكن المحصنة تشكّل جزءاً من النظام الدفاعي للقصر.

وعلى العموم، القصور محمية بأسوار أو بمساكن محصنة، زيادة على أبراج المراقبة والدفاع. وتفتح على الأسوار أبواب ومداخل محروسة على شكل أبراج مفتوحة تحدّد نهاية الشوارع.

3- أبراج الحراسة

من بين أبراج وادي مزاب برج تنمرين، يقع في الجاوة بقصر تجنينت، في أبهى حُلّة له بعد إكمال أشغال الصباغة له وبناء سدّ نموذجي خلف البرج، وهو ينتظر زيارتكم لتشاهدوا روعة الإنجاز بأعينكم. تقبّل الله كل من ساهم في الإنجاز بماله أو بيده أو دعوة خير.

- برج بوليلة وسور قصر بني يزقن

يحيط بقصر بني يزقن سور دفاعي يبلغ طوله حوالي 1525م وارتفاعه 3 أمتار، وسمكه في القاعدة يبلغ متراً، وفي القمة حوالي 20 سم. لقد تم بناؤه في المرحلة الأولى في القرن الرابع عشر، وبلغ شكله النهائي الحالي سنة 1880م.

يشمل السور العديد من أبراج المراقبة، وأهمها برج بوليلة، وبابين رئيسيين هما الباب الشرقي والباب الغربي، وثلاثة أبواب صغيرة "خراجات."

لقد عرفت هذه المنشآت مؤخراً عدة تدخلات لترميمها والمحافظة عليها، ومتابعة دائمة من أجل الوقوف على حالتها من قرب.

واجهة قصر بنورة

تقع في الجزء الغربي من قصر بنورة وتشكل طوقاً من مساكن محصّنة مبنية فوق صخور جبلية تطل على وادي ميزاب. وهي نوع من نماذج الحصون الطبيعية؛ تحل هذه المساكن المحصنة مكان الأسوار، وتتخلل جدرانها الخارجية فتحات صغيرة، وهي ببساطة عبارة عن نوافذ صغيرة كما في القصور الأخرى، لأنه تتم إضاءة المساكن بفتحة التهوية (الشباك) الموجودة في وسط الدار.

المطلب الثالث : فضاءات أخرى

إضافة إلى هذه الفضاءات، وباعتبار أن وسيلة النقل الوحيدة قديماً كانت هي الدابة، فقد حُدّد لها فضاء خاص بجانب السقيفة إن تعذّر تخصيص مدخل مباشر لها من الخارج، تسهيلاً لدخولها وحرصاً على إبعاد هذا الفضاء عن وسط المسكن لعدم تجانسهما معاً فيما يخص مميزات كل منهما. كذلك إلى جانب هذا المربط غالباً ما نجد فضاء لإيواء الماعز لما له من أهمية صحية واقتصادية في القديم، لذا فقد خُصص لكل قصر راعٍ يسوقها إلى المراعي طيلة النهار.

1- الغرف: تيزقوين

تخصص غرف الطابق الأول للأولاد والزواج الجدد لما في ذلك من استقلالية وراحة نفسية لهؤلاء. هذه الغرف بسيطة، مقاساتها صغيرة، أحجامها محدودة، لا يوجد بها أثاث، بل بُنيت كُوّات ورفوف لذلك، وثُبّتت على الجدران مشاجب خشبية لتعليق الثياب والأغراض.

2- غرفة المؤونة

هي عبارة عن غرفة صغيرة ذات مشاكي حائطية [باجو] لحفظ المؤونة الغذائية وتخزين التمر، وتكون في الغالب بين المطبخ والدرج.

3- الفضاء الصحي

نجده في الطابقين العلوي والأرضي وفي مستوى عمودي واحد لتسهيل عملية جمع الفضلات. ويرجع وجودهما في الطابقين إلى الاستعمال المتوازي لهما. ويتميز هذان الفضاءان بمحدودية مساحتهما وانعدام الباب عادة لأن شكلهما المعماري صيغ بطريقة تحجب النظر من الخارج إلى الداخل.

ونظراً لندرة الماء في هذه المنطقة سابقاً فإن استعماله يخضع لعدم الإسراف والتبذير والاكتفاء بالحاجة فقط. ولذلك نجد سابقاً أن الرطوبة في الجدران تكاد تكون منعدمة تماماً،

عكس بعض المساكن الموجودة في شمال إفريقيا. ورغم ذلك فقد مُنع إسناد المرحاض والحمّام إلى حائط الجيران تجنباً للضرر.

-4مئذنة مسجد آت ازجن "بني يزقن" نموذجاً

لمئذنة قصر آت ازجن (8هـ، 14م) شكلها المتميز ذو قاعدة مربعة تقريباً، وترتفع جدرانها انسيابياً مائلة فتكوّن شكلاً هرمياً غير مكتمل. وترى مئذنة بني يزقن مائلة إلى اتجاه معين كمئذنة غرداية "تغردايت" مما يزيدها سنداً، زيادة إلى شكلها الهرمي، وقوة أكثر للصمود ومقاومة الرياح.

وتتألف المئذنة –حسب صاحب كتاب العمارة الإسلامية: مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية للدكتور الحاج معروف– من طابق أرضي يمثل القاعدة وسبعة طوابق، ويتكون سلّمها إلى أعلاها من 65 درجة، ولها موقع بارز إذ تشرف على مدن وادي مزاب المجاورة لها وعلى واحتها.

خلاصة الفصل

تتميز العادات والتقاليد عند بني مزاب بالاعتدال والإنصاف، لا هي متشددة جامدة ولا هي فاسدة ومتأثرة بالفساد الوافد للقيم من الرجعيّات البالية (الغرب)، بل هي وليدة سلوكيات عرفية منظمة مباشرة يمارسها الفرد في حياته اليومية تارة وموسمية تارة أخرى، تعكس ما يتبناه من قيم وأخلاقيات في تعامله مع الآخرين.

هذه السلوكيات لا تنفصل عن المرجعية الدينية التي تؤطرها، بحيث تقوم الشريعة الإسلامية على مبدأ أن الدين ليس طقوساً مجردة، بل هو تعامل وأخلاق وسلوك، كما جاء في الحديث النبوي: «الدين معاملة». ولذلك لا يمكن مثلاً رؤية أي متسول أو لصوص داخل هذا المجتمع المتماسك، ولأن الآفات الاجتماعية تكاد تكون منعدمة.

أما عن المناسبات فخير دليل المولد النبوي الشريف لما رُسم له من ضوابط وتوجيهات للاحتفال به: بالصلاة والسلام عليه، بقراءة القرآن، بسرد سيرته العطرة، بعمل الخيرات والصدقات بعيداً عن البدع والمنكرات. هذا ما سنراه في الفصل الموالي.

فإن كل موقف يعيشه الفرد الميزابي في الفرح أو الحزن يسهم في تشكيل نمط تفاعلي يُظهر مدى التزامه بتلك المبادئ، وبالتالي فإن الظواهر الناتجة عن تلك السلوكيات سواء أكانت إيجابية أو سلبية –فالإنسان خطّاء– ما هي إلا امتداد طبيعي لطريقة تطبيقه لقيم الدين في واقعه اليومي.

الفصل الرابع

الفصل الرابع : الحياة الاقتصادية في وادي مزاب

- تمهيد

المبحث الأول : الفلاحة و الري

- المبحث الثاني : الحرف و الصناعات التقليدية
- خلاصة الفصل

تمهيد

اهتمّت السّلطة العثمانية بالجانب الاقتصادي بدرجة كبيرة، عبر إدارة إمبراطوريتها متعدّدة الثقافات، لاسيما في الجزائر التي تُعدّ من أهمّ أقاليم الشمال الإفريقي من خيرات وثروات. ساهمت هذه المنطقة، بني مزاب، داخل الجزائر جزءاً فعّالاً ضمن شبكة الاقتصاد العثماني المحلّي.

المبحث الأول : الفلاحة والرّي

اعتمد بنو مزاب على الفلاحة، وواصلوا في هذه الفترة من تاريخهم تذليل الصعاب وتسخير إمكانياتهم المحدودة جدّاً لتوسيع البقع الخضراء، التي أصبحت بذلك واحات. فقد كانوا ينهجون نظام التقشّف في حياتهم اليومية ويطبّقون مبدأ الاكتفاء الذاتي. وظلّت النخلة محور اقتصادهم، منها يتقوّتون، وبعناصرها يتّخذون سقوف بيوتهم، ويصنعون أثاثهم وأوانيهم، وفي ظلالها يستريحون من تعب الكدّ وحرارة الطقس، وتحتها يزرعون بعض البقول والفواكه.

إلا أنّ ذلك لم يكن بالأمر الهيّن؛ فالأراضي الصالحة للزراعة كانت ضيّقة، والرياح الموسمية لم تكن لتسهّل مهنة الفلّاح، وفوق كلّ ذلك مشكل ندرة المياه. إنّ الأمطار لا تنزل بصفة منتظمة، فقد تتعاقب السنون ولا تجود السماء بقطرة ماء. وقد تتهاطل الأمطار كالسيل في دقائق معدودة، فتحمل الأودية بغزارة وتجرف معها التربة الصالحة والأشجار والمحاصيل، إذا لم تكن هذه عرضة لإبادة البَرَد.

المطلب الأول :الماء

انكبّ بنو مزاب، لإحياء واديهم، على حفر الآبار بعزيمتهم الصادقة وصبرهم الدؤوب، فحفروا نحو ثلاثة آلاف بئر يتجاوز عمق الكثير منها ثمانين ذراعاً، وأحدثوا حول هذه الآبار حدائق النخيل يتجاوز عددها مائتي ألف نخلة.

يتمّ نزح الماء من البئر بوادي مزاب بواسطة الجمل أو الحمار أو البغل، الذي يجذب الدلو بواسطة حبلين يمرّان على بكرتين، وذلك باتّباع درب مائل يخفّف عليه مشقّة الجذب. عند إفراغ الدلو في الحوض تعود الدابة في اتجاه البئر لتتكرّر العملية. يرافق الفلاح الحيوان ذهاباً وإياباً، لحثّه على السير ومساعدته في الجذب وتفريغ حمولة الدلو في الوقت المناسب. هذه الحمولة تتراوح بين عشرين وثلاثين لتراً، ومعدّل النزح مرّتان في الدقيقة الواحدة[1].

وقد يعمد صاحب أرضٍ بيضاء بها بئر إلى استغلالها بواسطة أجير. فهذا اتّفاق للمجلس الأعلى لوادي مزاب صادر في ذي القعدة من عام 1247هـ/1832م يحدّد قانون هذه المعاملة: »اتّفق مجلس واد مزاب طلبةً وعوامّاً لدى مجلس الشيخ باعبد الرحمن الكَرْتي على مغارسة النخيل. من كانت له أرض بيضاء ولها خطّارة (أي بئر) وأراد غرسها غير ربّ الملك،

[1] بكلي عبد الرّحمن: فتاوى البكري، الجزء الثّاني، 378.

فشروطهما على ما اتّفق عليه ربّ الملك والغارس. واتّفق المجلس على المدّة التي يكون قسمهما، فإنّ المدّة اثنتا عشرة سنة يحلّ بينهما القسم. وإن نقضا شروطهما فإنّ أصحاب المعرفة ينظرون من هو ناقض على صاحبه، ويفصلون بينهما بغير المدّة المذكورة... فإن نقض ربّ الملك فالأجير له أجرته كاملة على شروطهما الأول، وإن كان الأجير لا يقدر على القيام بما غرسه فإنّ أرباب المعرفة يقدّرون له أجرة ما خدم، ويخرج من أمر المغارسة. وإذا هي الخطّارة فسدت أو قلّ ماؤها فلربّها أن يصلح ما فسد أو يزيد في حفرها حتى تُسوّى مع حومتها. فإن دخل بينهما جاسوس في شراء حقّ واحد منهما، فإن وقع بيع من واحد من الفريقين ولم يرض الآخر بالبيع فالبيع لا يثبت إلا بمدّة الشرط. وأما مواعين الخطّارة إن فسدت فإصلاحها على الأول، والسواقي إن فسدت فإصلاحها على الأجير. وأما الجذور إن فسدت فإصلاحها بينهما على ما اشترطا عليه في القسمة.«

غالباً ما نجد شركاء متعدّدين لبئر واحدة. يتمّ تقسيط استغلال مياهها ليلاً ونهاراً، فيقسّم اليوم الواحد إلى أربعٍ وعشرين خروبة، وتشمل الخروبة ثمانية أثمانٍ وأربعاً وعشرين موزونة، والموزونة تنقسم إلى ثلاثين درهماً. الحصص الليلية تُسمّى السوداء، وحصص النهار البيضاء. إنّ ملكية ماء البئر مستقلة تماماً عن ملكية الأرض، ويمكن لكلّ شريك في ماء البئر أن يبيع بعض حصصه أو كلّها أو يكري البعض منها.

هناك آبار خاصة من حيث إنّ عيونها لا تنبض ولو في أوقات الجفاف، وهذه الآبار تُسمّى الوَرَاوِر. وبديهي أنّ ثمن هذه الآبار وثمن حصصها في منتهى الغلاء[1].

كثيراً ما تنضب عيون عدد من الآبار العادية، فيضطرّ أصحابها إلى جلب الماء من مسافات بعيدة بواسطة قنوات، ماؤها عرضة للتبخّر والتسرّب. من هنا يتبيّن لنا ما للماء من قيمة غالية. فقد كان أهل مزاب يحرصون على الاستفادة من كلّ قطرة مطر تنزل من السماء، فبنوا على سفوح الجبال المحيطة بالواحة سواقي لجمع مياه المطر وتوجيهها إلى الأجَنّة كي تُستغلّ ولا تضيع.

ثم أقاموا على وادي مزاب وروافده سدوداً مختلفة الأهمية، لحجز السيول وإعطاء التربة الوقت الكافي لامتصاص الماء وتزويد طبقة المياه الجوفية التي تمدّ الآبار.

أمّا سدّ العطف فيقع على بعد ثلاثة كيلومترات من المدينة جنوبها على وادي مزاب. ارتفاعه ثلاثة أمتار وطوله خمسمائة متر، يزيد سمكه في بعض الأماكن على عشرة أمتار، ويقال إنه

[1] الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 326.

أوّل سدّ بمزاب.

جنوب بونورة أقيم على وادي مزاب سدّ ارتفاعه أربعة أمتار وطوله مائة وخمسون متراً، بالإضافة إلى سدّ آخر على نفس الوادي وسدود صغيرة على وادي أزوِيل[1].

وقد أقام أهل غرداية على وادي تُوزوز ثلاثة سدود ومثلها على وادي مزاب، هي سدّ سالم أُوعيسى أو سدّ أشور، وسدّ البنت، والسدّ الجديد الذي بُني عام 1897م، سمك قاعدته ثمانية أمتار.

في القرن الخامس عشر الميلادي، أرغم أهل مليكة وبونورة سكّان غرداية على تخفيض مستوى ارتفاع أحد سدودهم المقامة على وادي مزاب بذراعٍ ونصف، كي لا يُحرَموا كلياً من مياهه.

في سنة 1073هـ/1662م أصدرت جماعة غرداية قراراً يمنع إحداث واحة جديدة في الشمال الغربي لواحة غرداية، وذلك حماية لها من البوار. من أجل ذلك اشترت الجماعة الأراضي التي تحدّ الواحة من تلك الجهة وتركَتها خالية لكي تضمن تطبيق القرار.

أمّا السدّ الكبير الذي أقامه بنو يزقن على وادي أنتيسا، فطوله نحو ستمائة متر وارتفاعه ثمانية أمتار، وعرض قاعدته ستة أمتار. هناك على نفس الوادي سدّ آخر دون الأول بكثير.

من جهة أخرى، فقد بنى بنو مزاب قنوات موازية للأودية تجلب الماء من أعالي الواحة لتوزّعه على الأجَنّة التي لا تستفيد مباشرة من السيول بصفة طبيعية بحكم ارتفاعها. توزّع مياه هذه القنوات توزيعاً عادلاً بكميات متناسبة مع مساحة البستان وعدد نخيله.

فعن تقسيم المياه في واحة العطف نجد الشيخ عبد الرحمن باكلي يقول: «وأمّا في العطف فتقسيم ماء (ضاية ميزاب) يُنسب إلى الشيخ بابا دادي من عشيرة أولاد حريز فيها. لكن لم أعثر على تاريخ ميلاده ووفاته.«

وهناك ناحية (رأس أَوْلَوَال) تقسيم لم أطّلع على من وضعه، وإن اتّفق أصحاب المصارف (مداخل الماء إلى البساتين) في عهد الشيخ اطفيش على زيادة نسبة الرّبع لكلّ مصرف، فنفّذوا الاتفاق فعلاً.«

وعن غرداية يذكر الشيخ عبد الرحمن باكلي أنّ مجدّد تقسيم المياه بها هو الشيخ حَمّو أُو الحاج، أحد شيوخ غرداية القدامى المتوفّى سنة 1129هـ/1717م. ويقول الشيخ إبراهيم طلاي إنّ تقسيم مياه بُوشَّنْ بغرداية تمّ سنة 1707م.

في واحة غرداية تنطلق من وادي مزاب ساقية رئيسة تُسمّى ساقية بُوشَمْجَان، ثم تتجزّأ إلى ثلاث

[1] دور المزابيين، الجزء الأوّل، 75.

سواقي فرعية هي: ساقية حَمّو أُو عيسى، وساقية الشُّعبة، وساقية بنوح مرزوق.

ساقية حمّو أُو عيسى تنطلق منها مائة وعشرون كوّة، عرض كلّ واحدة منها خمسة وثلاثون سنتيمتراً. ارتفاع الأولى سبعة سنتيمترات والثانية ثمانية، وهكذا يتزايد الارتفاع من كوّة إلى التي بعدها بسنتيمتر واحد.

أمّا ساقية الشُّعبة فإنها تموّن أربعاً وثمانين كوّة ذات أربعين سنتيمتراً عرضاً، مع نفس الملاحظة بالنسبة لارتفاعها. كما نجد ذلك في ساقية بنوح مرزوق التي تموّن مائةً وعشر كوّات ذات خمسة وثلاثين سنتيمتراً عرضاً.

مياه وادي تُوزُوز تشكّل ساقيتين: الفوقانية والتحتانية. في الأولى مائتان وخمسون كوّة ذات ثلاثين سنتيمتراً عرضاً، وفي الثانية ثمانون كوّة عرضها خمسة وثلاثون سنتيمتراً. أمّا ارتفاع الأولى في كلّ من الساقيتين فهو سنتيمتران فقط، يتزايد كذلك بسنتيمتر واحد من كوّة إلى أخرى.

وعن بني يزقن يقول الشيخ باكلي: «فقد قُسّم ماء شعبة مُومّو القبلية للبلدة الشيخ بالحاج بن سعيد في القرن العاشر الهجري، ويُنسب تقسيم ماء (أدّاي نَنْتِيسا) إلى الشيخ الحاج سليمان بن سعيد، وذلك تاريخ 3 ربيع الثاني سنة 1162هـ.«

وعن الشيخ حمو عيسى النوري ننقل: «إنّ الشيخ الحاج سعيد هو الذي خطّط بمفرده تقسيم مياه المطر غرب انْتِيسا، كما أقرّ تقسيم مياه شعبة مُومّو[1].«

وفي واحة بني يزقن نجد أربع سواقي تأخذ مياهها من أدّاي نَنْتِيسا، وهي: تاغَرْبِيتْ (الغربية)، وساقية الزقاق، والساقية الوسطى، وساقية بُوشَمْجَان. أمّا تاغَرْبِيت ففيها ستّ وأربعون كوّة ذات خمسة عشر سنتيمتراً عرضاً، وعشرة سنتيمترات ارتفاعاً.

أمّا ساقية الزقاق فإن عدد كوّاتها خمس وخمسون، عرض كلّ منها أربعون سنتيمتراً، ارتفاع الأولى سبعة سنتيمترات والثانية ثمانية، وهكذا. عدد كوّات الوسطى ثلاث وعشرون، عرضها خمسة وثلاثون سنتيمتراً وارتفاعها ستة عشر[2].

واحتا مليكة والقرارة هما الوحيدتان اللّتان لا تملكان سواقي عمومية لتوزيع مياه السيل.

هذا النظام المحكم وهذه التجهيزات الثمينة هي بحاجة إلى مراقبة وصيانة. أمّا المراقبة فيقوم بها أمناء.

ينصّ اتفاق مجلس وادي مزاب في شوّال 1052هـ/1642م: «ومن تعدّى بزيادة الماء في الغابة، أي ماء السيل لغابته أو لساقيته زيادة عن القياس الموجب له، فغرامته خمسة وعشرون ريالاً

[1] بكلّي عبد الرحمن: المصدر السّابق، 378.
[2] مزاب بلد كفاح، 63.

والنفيان.«

وينصّ اتفاق مجلس وادي مزاب عام 1156هـ: «واتّفقوا على ماء المطر، فإنّ له أمناء لكلّ حومة يحرسونها في وقت الماء، ومن تعدّى على ماء المطر فإنّه يجري عليه ما جرى على السارق، وكذلك الوادي الفسيح فله حريم أربعون ذراعاً.«

وأمّا الصيانة فتتمّ بواسطة حملات التطوّع التي تُسمّى بالتْوِيزَه، يشارك فيها كلّ الشباب والكهول القادرين على العمل[1].

ولا بدّ لمكتسبات في مثل هذه الأهمية، تقوم عليها حياة القرية، من حراسة ضدّ غارات البدو. فقد بُنيت على امتداد الواحات أبراج لليقظة والدفاع، صُمّمت تصميماً فريداً. يقول الشيخ علي يحيى معمّر: «ابتُلي الإباضية هناك (مزاب) بجيران يحترفون الغارة، ويعيشون على النهب والسلب. فهم لا ينفكّون يهجمون على قرى الإباضية، أو يتعرّضون لقوافلهم، فاتّخذ بنو مزاب الوسائل التالية:

- اتّخذوا من بعض تلك القبائل أحلافاً.
- فتحوا أسواقهم في وجوههم.
- يُحسنون إلى محاويجهم وضعفائهم.
- يستخدمون أبناءهم في الفلاحة.
- يتّخذون الأغنام يودعونها عندهم.«

المبحث الثاني : الحرف و الصناعات التقليدية

يمتاز وادي مزاب منذ القدم بتنوّع صناعاته التقليدية، خاصة صناعة الزرابي (زرابي صوفية، زرابي بأشكال أمازيغية، السجاد، الوسادة... إلخ). يعرف هذا النسيج التقليدي بوحدته وأصالته وأشكاله... وتوفر صناعة الصوف العديد من أنواع الملابس العائلية: "القشابية"، "البرنوص"، "الخمري"... إلخ.

وتوجد أيضاً أنواع من الحرف التقليدية كصناعة النحاس، والفخار، والجلود...

[1] Baelhadj MERGHOUB : Développement Politique en Algérie, 38.

المطلب الأول : الصّناعة

من الصناعات السائدة بمزاب: صناعة مواد البناء من جير وجبس. كانت تُصنع لها أفران مبنية من حجارة وطين أحمر مستدير الشكل، وصناعة أخشاب النخيل للتسقيف، وخشب بعض الأشجار لصنع بكرات النزح وحاملاتها، وأدوات النسيج وأواني المطبخ.

يتخذ المزابيون من جذوع نخيلهم عوارض للتسقيف، وأخشاباً لصنع الأبواب، مكاييل للتجارة، مهاريس لطحن الحبوب، وأواني مختلفة. ويتخذون من جريدها ستائر وسقوفاً. ويُصنع من أوراقها وأليافها حصائر وحبال وأقفاف وأطباق وكسكسات ودلاء ومظلّات ومراوح.

من أشهر الحرف: بناء المساكن، وحفر الآبار، ومدّ السواقي، وبناء الأحواض. أمّا الحدّاد فيصنع آلات الفلاحة وأدوات البناء والغزل والنسيج.

ومن أهم الصناعات دباغة الجلود لصناعة الدلاء، وصناعة الفخار لصناعة الأكواب والأباريق والقلل والخابيات. يُصنع كلّ ذلك من طين خاص ثم يوضع في أفران خاصة به. هذه الأفران وُجدت بكلّ من مليكة والقرارة، وكانت تنتج فخاراً عادياً وفخاراً مطلياً.

أ- الجرار المبرنقة من الداخل أو بدون برنق، ومنها:

- الخابية بغطائها وبدون مقبض، سعتها حوالي خمسين لترا لخزن التّمر أو الماء.
- أَغَلُّوسْ له مقبضان، سعته بين ثلاثة وعشرين لترا، يخزن فيه التّمر أو الماء أوالشّحم المذوّب أو السّمن أو الحليب.
- تَاقَصْرِيتْ بدون مقبض يستعمل لترطيب نوى التّمر للمعز.
- تَاقَدُّوحْتْ بغطاء وبدون مقبض لخزن المؤن.

ب- أواني السوائل:

- الإبريق سعته حوالي لترين.
- القلّة لها مقبضان سعتها ثلاثة لترات.
- أَقَدُّحْ يسع لترا إلى لترين من اللّبن.
- تَاقَدُّوحْتْ بمقبضين تسع من نصف لتر إلى ثلاثة أرباع اللّتر من الحليب.
- أَجَدُّو بمقبض واحد يستعمل للشّرب.
- المحبس بمقبضين صغيرين لجمع المياه القذرة، حوالي أربعة لترات.

جـ . المكاييل:

النقّاصة، ولها مقبض أو مقبضان، تستعمل لكيل السمن والزيت، وتبلغ سعتها نحو لتر واحد تقريبًا، ومثلها نصف النقّاصة وربع النقّاصة. وتحمل كلّ واحدة منها علامة تُبيّن مقدار الكيل، وعلامة أخرى لضبطها من طرف حلقة العزّابة في مسجد البلدة.

د . الأكواب:

- تاغلّوست :الصحن.
- تاغدّارت :الجفنة.
- تابخورت :المبخرة.
- نير :القنديل.

هـ . مصنوعات أخرى:

- تادوات :المحبرة.
- سوفير :الميزاب.
- قادوس :الأنبوب.

الفخّار المطلي بالأخضر

أ . أواني السوائل:

- تابغْبغْت :سعتها لتر ونصف، تعلّق في غرفة العروس للشرب.
- لْبريك نوفوس :إبريق بسعة لتر ونصف يُعدّ جزءًا من جهاز العروس.
- أجدّو و تاجَدّيوت :أوانٍ للشرب.
- تاقصرِيت أو تيمحْبست :ذات مقبضين، سعتها من لتر إلى ثلاثة لترات، توضع تحت تجاوت لالتقاط نقاط الماء الراشحة.

أمّا تجاوت فهي دلو مصنوع من جلد الماعز تحيط به أهداب من القرنفل، يُعلّق لتبريد ماء الشرب بالتبخّر.

- أقدّوح و تاقدّوحْت :لحفظ الزيت والسمن واللبن.

ب . الأكواب:

- تاغلّوست :الصحن.
- تاغدّارت :الجفنة.
- المَترد :صحن ذو قاعدة عالية، يبلغ ارتفاعها نحو خمسة عشر سنتيمترًا.

المطلب الثاني : المنتوجات النسيجية

في الغزل والنسيج كانت النساء يُنتجن الحياك والأكسية للنساء، والعباءات والبرانس للرجال، وتُنسج كذلك الأفرشة المتنوّعة والمناديل المخصّصة للفّ أواني الطعام ونقل الخضار.

الأفرشة:

تنقسم إلى ثلاثة أصناف:

- الفرش ذات النسيج العالي :تصنع من صوف غير مصبوغ، ويُسمّى الواحد منها تْناشْرا.
- الفرش المستوية الثقيلة :المعروفة حاليًا بزربية بني يزقن، وتُزيّن عادةً برموز تقليدية وحاشيتين جانبيتين.
- لَحنابل (جمع حنبَل): وهي شرائط مختلفة الألوان منسوجة في قطع متتابعة.

الألبسة:

من أهمها:

- تجربِيت :ملحفة صوفية بيضاء تُزيّن بأشرطة ملوّنة.
- الشال المطروز (أخَمري):

يُنسج من الصوف ويُصبغ بالأسود، ثم يُطرَّز بالحرير الأحمر والأخضر والأصفر والبرتقالي.

ويُعرف بنوعين :خَمري مخَبَّل و خَمري الناصية.

هذه الأشكال تسمى :

- ✓ البزيمة (أو الشمسية).
- ✓ تسغنست (أو الريشة أو تَكمبُشت).
- ✓ إدلالن (الأهداب).
- ✓ إتران (النجوم).
- ✓ إبوان (حبّ الفول).
- ✓ إكومار (الأقواس).
- ✓ تمشرفين (الأقراط).
- ✓ المجدول.
- ✓ تينصرِيفين (الدويرات).
- ✓ السوالف.
- ✓ تسلاتين (العرائس).
- ✓ إضوضان (الأصابع).
- ✓ تشبرْت نلّتْش فهي عباءة صوفية متعدّدة الألوان، يلبسها الرجال والأطفال، وتحمل رموزًا مثل:

الشرفة – العقرب – ساق الدجاجة – المفتاح – المائدة – الشمعدان – الشموع – المشط – الزهور – اليد – أسنان الفأر – الحُلي، بالإضافة إلى رموز مثل:

زقزاق، إفران، تكوكوين، تسغنستّن بربورا، رقمَت نتشبرْت، زازاغ، تاسلت.

المطلب الثالث : الحلي

الذهب

من الحُلِيّ الذهبية:

- تسغناس (جمع تسغنست): لربط أطراف الملحفة على الكتفين.
- الخاتم.
- أصرا :العقد.

- الصارمية :قلادة تمسك كلّ طرفٍ منها تسغنست.
- تمشرفين :الأقراط.
- البزيم :لتزيين الشعر.
- تصغدرين أو المسايَس :الأساور.
- الشاركا :توضع على الجبين.

الفضّة

أما حلي الفضة فيشتمل على :

- تمغلت :عقد تمسك طرفيه تسغنست.
- أُزلان :الخلخال.
- تجلال :تُعلّق في نهاية شعر العروس على ظهرها.
- تسغناس :لربط الملحفة.
- تصغدرين :الأساور.
- الخاتم.

البارود

اشتهر بنو مزاب بصناعة البارود، وكانت في كلّ قرية مهاريس صخرية كبيرة يُصنع فيها البارود ثم يُباع للقوافل.

كانوا يستوردون الكبريت من تونس وليبيا، وملح البارود من الجنوب الغربي، أمّا الفحم فيُستخرج من شجرة الأثل المنتشرة في المنطقة.

خلاصة الفصل

بعد التطرّق في هذا الفصل إلى جوانب متعدّدة من الحياة الاقتصادية بوادي مزاب، يمكن القول إنّ الاقتصاد المزابي القديم قام على عناصر أساسية شكّلت عماده، من أبرزها :الفلاحة والصناعات النسيجية.

فعلى الرغم من قلّة الأراضي الصالحة للزراعة وندرة الأمطار وشحّ الموارد المائية، استطاع الفرد المزابي أن يسخّر كلّ الوسائل المتاحة لديه، ولو كانت بسيطة، فحفر الآبار والأفلاج، وسوّر مزارعه، واستصلح أراضيه. وقد اعتمدت الفلاحة في مزاب على ثلاثة محاور رئيسية : غرس النخيل، وزراعة الحبوب، وبعض أنواع الفواكه المتوفّرة آنذاك، إضافة إلى تنظيم عمليات السقي اليومية وفق برنامج دقيق محكم تشرف عليه حلقة العزّابة ضمن ما يُعرف بـ نظام السقي الجماعي.

أمّا حرفة النسيج (أزطا) فقد كانت من أهمّ ركائز النشاط الاقتصادي، إذ مارستها المرأة المزابية منذ القدم ولا تزال إلى اليوم، فلا يكاد يخلو بيت مزابي من آلة النسيج التقليدية. وقد تفنّنت النساء في صناعة الزرابي، والحياك، والقشابيات، وجهاز العروس وزينتها، وملابس الرجال والنساء والأطفال، معتمدة على الصوف كمادة أولية أساسية. وقد تجاوز إنتاج النسيج حاجات السوق المحلية ليصل إلى الأسواق الخارجية، حيث شكّلت الأسواق الميزابية مركزًا نشيطًا للتبادل التجاري، وساهمت القوافل في ربط المنطقة بمحيطها الإقليمي، إذ كانت تنطلق من مزاب نحو الشمال (الجزائر العاصمة) والجنوب (توات وبلاد السودان)، مما يدلّ على الدور البارز للمزابيين في التجارة العابرة للصحراء.

وليس أدلّ على مكانتهم التجارية وسمعتهم الحسنة ممّا أورده شالر، القنصل الأمريكي المقيم بمدينة الجزائر، حيث قال" :المزابيون قوم هادئون، نشيطون في التجارة، مشهورون بالأمانة والنزاهة والعمل".

الخاتمة

خاتمة

بعد قراءتنا لمضامين البحث ووفق الخطة التي سطرناها لمعالجة الموضوع الذي نحن بصدده، توصلنا إلى تسجيل أهم النتائج التالية:

أولا: إن الهيئات العرفية تُعد مضادات بنيوية فعّالة للانحرافات الدينية والعرفية، فهي لا تقتصر على إصدار الأعراف والقرارات، بل تسعى إلى ترسيخ منظومة قيم إيمانية مستقاة من معين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صراحةً وضمناً داخل المجتمع. ومن ثمّ فهي توازن بين الضبط التنظيمي والحماية الأخلاقية، بما يعزز مبدأ الصالح العام ويحفظ الاستقرار الاجتماعي من الوازع الديني.

ثانيا: جاء "مؤتمر لا إله إلا الله" ليجسد معنى الآية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، أي أن التوحيد الخالص لله ليس مجرد عقيدة، بل هو أساس النظام النفسي والروحي الذي يضمن للإنسان الاستقرار والهداية من القلق والضياع والنجاة في الآخرة. ولِمَ نُظِّم للمرأة بالذات؟ من خلالها يقاس مدى رسوخ الحماية والثبات الأخلاقي والديني، وصبرها على التنشئة الصارمة من جيل لآخر وإلى . الآن ..

ثالثا: قد تميز المجتمع الميزابي بالتماسك الذي يظهر من خلال محافظته على اللباس التقليدي الذي واظب الميزابيون على ارتدائه إلى يومنا هذا سواء في المناسبات وغيرها.

رابعا:لم تحضر المرأة المزابية في المدونات التاريخية بقدر ما ظهرت في مخرجات فعلها الاجتماعي، فهي وإن غابت صورتها المباشرة، فقد تجلت كينونتها في ثمار عطائها من خلال التنشئة الصالحة للأبناء وصبر حكيم على تقلبات الواقع. وقد وجدت لنفسها مسالك للتعبير عن حضورها فحوّلت الأحداث والروايات والوقائع والأهازيج ورموزًا مسموعة ومقروءة ومؤثرة في المناسبات والأفراح والمآتم، كما أودعت جانبًا من كينونتها وبصمتها في الحرف اليدوية التي كوّنت هوية محلية مميزة مثل النسيج وصناعة القصب والفخار.

خامسا: لم يُنقل خلاف بين العلماء في تحديد أكثر المهر وأقصى حده، وهو ما انسجم مع موقف المجلس الأعلى للعزابة الذي وحّد المهر انطلاقًا من هدي النبي ﷺ الداعي إلى التوازن والتيسير، والتحذير من المغالاة في المهور.

سادسا: تُظهر أعراس وادي مزاب ميزة وجوب اتباع كل مراحل ومراسم العرس بأدق التفاصيل، وأي محاولة للخروج عن النسق سواء بالزيادة أو النقصان أو التغيير تُقابَل بعقوبة البراءة، أو تُترك المسؤولية لصاحبها ليُقيمها خارج الإطار النموذجي للعرس لا باسم مجلس العزابة الذي يبقى الحارس الأمين لهذه التقاليد.

سابعا: يتجلى الطابع المعماري مرآةً للتواضع في وادي مزاب؛ بسيطة الملامح نقية من الزخرفة المعقدة والتزيين المفرط، فلا تعرف تعاليًا ولا تباهيًا، وبجذور تاريخية ثابتة. وهو نمط يعتمد على التشكيل العملي والوظيفي أكثر مما اعتمد على الجمالية الظاهرية، كما يتميز بكونه نتاجًا جماعيًا لا يرتبط بأسماء أو بصمة شخصية محددة.

ثامنا: من خلال النظر في النموذج التنظيمي لتقسيم المياه من مبادئه ووسائله وشروطه وأمنائه، نستنتج أن الإنسان في هذه المنطقة تأثر وفكّر وعبّر، عن طريق تشييده لهذه المعالم الأثرية المنسقة في جميع جوانبها ومراحلها التي اختزلت الأجيالُ المتعاقبةُ الخبرةَ منها، والمتكيفةَ مع طبيعة المنطقة.

تاسعا: إن المجتمع المزابي في إدارته لشؤونه الداخلية في جانب الضبط الاجتماعي ونظامها العقابي، ومواجهة الجرائم وحالات التمرد، استعان بالعقوبات وقسمها إلى قسمين: عقوبات معنوية وعقوبات مادية. فالمعنوية هي البراءة والهجران، والمادية هي الجلد والحبس والنفي والغرامة المالية. وكلها عقوبات تعزيرية يرجع تقديرها إلى السلطة العليا في مزاب المسماة "مجلس وادي مزاب" على مستوى القصور، وقد عُرفت تطبيق هذه العقوبات خلال القرن 15م إلى 19م.

عاشرا: تُعد عادة "الزِّيَارَتْ" السنوية ذاكرة جمعية وصورة لا تزال حية تُرى ولا تُروى فقط، إذ تمثل حلقة وصل بين الماضي والتراث من جهة، والحاضر واستمرارية المجتمع من جهة أخرى. تجمع بين البعد القرآني المتمثل في شكر نعم الله التي سخرها عليهم في وقت كانت المنطقة تواجه الجفاف وقلة الأمطار تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ سورة المائدة (7)، وبين البعد الرمزي المتمثل في زيارة المقابر واستحضار سير الأسلاف بما حملته من إنجازات دينية وعلمية وعمرانية وتنظيمية، وتذكير بأن قوة الجماعة في الوفاء لعهدها مع الله.

الحادي عشر: كما أن المجتمع المزابي خلال العهد العثماني لم يكن مجرد فئة اجتماعية منغلقة على ذاتها، بل جسّد نموذجًا للتكامل بين البعد المحلي والبعد المركزي، من خلال إسهامه

في صدّ التهديدات الأوروبية وبناء علاقات وثيقة مع السلطة الحاكمة طيلة تواجده في الجزائر، حيث كانت تُستشار بواسطة أمينها في كافة المجالات التي تنظم وتضبط علاقتها بالسلطة وبالفئات الأخرى.

الثاني عشر: شيوخ الإباضية وعزّابتها في وادي مزاب قد أرسوا تقاليد خاصة بمقابرها، وهي عبارة عن تنظيم مجالس دورية خاصة تُتلى فيها حصص من القرآن الكريم في مقابر معينة، ويجمعون فيها الأوقاف المخصصة لها والصدقات، وتُفرَّق على من في مجالس الذكر وخارجها من المحتاجين وغيرها.

هذه بعض النتائج التي تمكنا من التوصل إليها من خلال دراستنا لموضوع الحياة الاجتماعية لبني مزاب، ونعتبر ما توصلنا إليه ما هو إلا مساهمة متواضعة في مجال بحث ما يزال في حاجة إلى مجهودات كبيرة ومستمرة.

توصيات:

من خلال النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع نقترح بعض الحلول والتوصيات، منها:

- جمع وحفظ اللوائح والأنظمة المكتوبة المتعلقة بالعادات من أصحابها، لأنها مرجع مهم يستفيد منه الباحثون وجعلها ضمن مصنفات المكتبات تبقى محفوظة وآمنة، حيث إن ضياعها يؤدي إلى ضياع جانب من التراث المزابي الإسلامي.
- الاستمرار في رحلة التفصيل الشرعي لبعض العادات والممارسات الاجتماعية (كالعبادات والسنن والعادات) بهدف بيان ارتباطها بروح الإسلام حتى يفهمها الناس ويحافظوا عليها.
- ضرورة توضيح مدلولات العادات الناشئة وبيان أصولها ومعانيها الحقيقية، حتى لا تُفهم على وجهها غير الصحيح، ولا يضاف ما ليس منها، وبذلك نحافظ على قيمتها الإيجابية ونمنع انحرافها عن مقصدها الأصلي.
- يُقترح العمل على إنشاء متاحف افتراضية وتفاعلية للآثار القديمة وقاعدة بيانات رقمية شاملة، تُدمج فيها عملية توثيق هذه التقاليد والعادات وفق أسس علمية دقيقة، تتيح

للسائحين خوض تجربة واقعية وغامرة، مع توفير محتوى رقمي متعدد اللغات يسهم في نشر الثقافة المحلية عالميًا.

- الكشف عن الأجزاء العلوية المهدمة أو المدفونة للآبار وإعادة بناء ملحقات البئر، باستخدام المواد المحلية ومراعاة النمط التقليدي.
- إرجاع روح هيئة "امصوردان" في القصور التي اندثرت منها سيكون مكسبًا كبيرًا؛ لأنها لم تكن مجرد حراسة تقليدية، بل رمزًا للأمان وحماية للأملاك والأعراض وضمان حرية التنقل. وقد عملت هذه الهيئة في العهد العثماني وحتى في زمن الاستعمار الفرنسي بشروطها، وكانت تعكس روح التضامن والاعتماد على النفس. واليوم يمكن إحياؤها بروح جديدة تراعي الماضي وتخدم الحاضر.
- توصي هذه الدراسة بضرورة إعداد منهج تعليمي شامل أو إدماج النظم والقوانين العرفية لمختلف فئات المجتمع الجزائري، بما يسهم في توثيق الهوية الوطنية، وترسيخ الوعي القانوني، وغرس قيم شكر نعم الله وتعزيز روح التضامن والمسؤولية الجماعية.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

.Andre Ravéreau, Le Mzab une leçon d'architecture, Sindbad,

- .Baelhadj MERGHOUB : Développement Politique en Algérie,
- Charles Amat : Le M'zab et les mozabites, Paris,1888
- Floriane Morin:"Une collection de ceramiques du Mzab au Musee d'ethnographie de Geneve " ،Horizons maghrebins ،76 ،Presses Universities du Mirail ،2017.
- .Lewicki 'Halka" E.I vol.3,
- .151Nouha Spina.)2010(. Reference précédentes.
- Nouha Spina.)2010(Les Modalites de Transmission des Valeurs Ibadites dans la Famille Mozabite Contemporaine.Universite Mentouri Constantine. .Magister option Anthrologie et Culturelle.
- ابن منظور (630هـ . 711هـ): لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، ط1، بيروت، 2006، ج10،
- أبو بكر صالح بن عبد الله: أَزَيّارَتْ بسم الله يالله يارحمان يا رحيم يا الله ارحمنا، ميزاب ميديا، ط2، غرداية، 2025م..
- أحمد بن محمد (ابن مسكونة): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م،.
- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر: المطبعة العربية، ط1، الجزائر،1350هـ/1931م .
- أسامة عبد الأمير مكلف البدران: شجرة العشيرة، د. ت. ط، ط1، العراق، 2014م،
- اسماوي صالح بن عمر: نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1986. 1987م . ص 56.
- اطفيش أبو اسحاق: وادي ميزاب ..
- أعوشت: وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية،
- الأب لوئيس معلوف اليسوعي: المنجد في اللغة والأعلام حرف الباء ط5، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1931م،.
- الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 326.

- *الإباضية في كوكب التاريخ: مصدر سابق، مج3،*
- *الأستاذ ويرو الحاج يحيى إبراهيم: معالم الحضارة في واحة غرداية من خلال الوثائق الأرشيفية (زمامات عرش مزاب القرارة)1333هـ . 1371م . 1952م، دار المنهاج، الجزائر،*
- *الحاج أيوب بن ابراهيم القرادي: رسالة في بعض أعراف.*
- *الحاج موسى بن عمر: القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام مزاب 1902م . 1962م، أطروحة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.د شاوش حباسي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007 . 2008م،*
- *الشيخ بلحاج بن عدون قشار (ت 1416هـ/ 1996م): عوائد مزاب سنن لا تقاليد، ته .تخ: أحمد حمو كروم، ط 2، د م ن: د ن، 1428هـ/ 2007م،*
- *الشيخ حمو بن باحمد بابا موسى رحمه الله (ت1376هـ / 1957م): الزِّيَارَتْ آغرم نتغردايت مناقب وكرامات الأولياء لمشايخ الإباضية، تع .تح: الناصر بن حمو أويابة، جمعية الشيخ إبراهيم أطفيش لخدمة التراث، ط1، د. م .ط، د .س.*
- *الشيخ صالح بن عمر سماوي: مؤتمر لا إله إلا الله ودوره في الحياة الاجتماعية للمزابيين، نِيرْ، التراث الوطني الجزائري،mailto:nir.projet@gmail.comالجزائري، إب 2025/07/25م سا 16:35*
- *العرف في البناء التقليدي بوادي مزاب .، د ت.س .و. م، 2013.*
- *الفيروز بادي (محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1.*
- *أميلي ماري كفاشيون: الحياة النسوية في مزاب 1927م، تر: سامية نور الدين شلاّط، در، تح: صالح محمد الشيخ صالح، دار نزهة الألباب لنشر والتوزيع، ط1، غرداية . الجزائر، 2017م،*
- *بكلي عبد الرّحمن: فتاوى البكري، الجزء الثّاني.*
- *بوعروة بكير: النظّام النسوي الديني " تِمْسِيرِيدِينْ" ودوره في تسير شؤون المجتمع الأنثوي في قرى وادي مزاب، مجلة الواحات للبحوث والد راسات، جامعة غرداية، ع 1، غرداية، الخميس 15أفريل 2021، .*
- *حاج عاشور ناصر: عيد الزيارة (عيد الزهور) بميزاب القرارة ولاية غرداية يوم الجمعة 26أفريل 2013،.mailto:www.youtube.com/@MrAdell920،إب /2025/0724/سا21:47.*
- *حمو النوري: دور الميزابيين في التاريخ الجزائري قديما وحديثا، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015 م، ج1،*
- *حمو بن ابراهيم فخار: تنظيم الأعراس في مزاب بين النصوص الشرعية والأعراف الاجتماعية: قصر بريان بولاية غرداية أنموذجا، مجلة أصبهان للبحوث والدراسات، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية . جامعة غرداية، ع01، مج04، 2019.*

- حمو بن عمر فخار: صالح بابكر على درب الأنبياء، دط، القرارة . غرداية: المطبعة العربية 2002م، ص19.
- خالد بن عبد الرحمن الجريسي: العصبية القبلية من منظور الإسلامي الناس كلهُم بنو آدم . وأدم من تراب، تق: عبد الله بن سليمان بن منبع وآخرون، مؤسسة الجريسي لتوزيع والإعلان، ط1، الرياض، 1427ه/ 2006م، تح: فتاوى كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء،
- خالد بوزيد ومحمد التريكي، المعمار والممارسة الاجتماعية، مزاب بين الماضي والحاضر، أطروحة المرحلة الثالثة هندسة وتعمير، المعهد التكنلوجي للهندسة والتعمير، تونس، 22, 1989
- خوجة عبد العزيز: الضبط الاجتماعي ومعوقاته في التجمعات التقليدية: نظام العزابة بوادي مزاب (الجزائر)أنموذجا (دراسة سوسيو. أنثروبولوجية)، دار نور للنشر مط دايا، ط1، غرداية، الجزائر، ،2007م،
- د: تامتلت إبراهيم . ط.د: بن يحي أسماء: القيم الداعمة للتحرر من الاستعمار الفرنسي لدى المرأة الجزائرية بمنطقة مزاب، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية . ع2، مج 06، 2021م،
- دبوز محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، ج1، ط2، الجزائر، 2013م،
- دور المزابيين، الجزء الأوّل، 75.
- طاحون أحمد بن محمد: مرشد الدعاء إلى الله" دراسة وتطبق "، د . د . ط، جدة . السعودية، 1402ه ..
- عبد الرحمن حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، ط1، المكتبة العصرية . صيدا بيروت، 1421ه/ 2000م،.
- عزب خالد: السياسة الشرعية وفقه العمارة، الحدود الفاصلة والمشتركة، مجلة وحدة الدراسات المستقبلية (14) الإسكندرية 2013م،
- علوي بن عبد القادر السقاف "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه"، الدرر السنية، mailto:www.dorar.net/adith/show/1085، 4يوليو 2025م، سا 20:58
- علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، ش . تر محمد عبده، جم الشريف الرضي، دار المعرفة، بيروت، 1964م، ج3.
- علي بن محمد الجرجاني: كتاب التّعريفات، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1424ه .2003م،
- علي عثمان جرادي: عقود الزواج المعاصرة بين الصحة والفساد دراسة فقهية مقارنة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت . لبنان،2017م.
- علي يحي معمر: الإباضية في كوكب التاريخ، مص . مرا، مكتبة الضامري، ط3، سلطنة عمان، 2008م،

- عمر زعابة: آليات وطرق حفظ وتسيير تراث المبني في وادي مزاب، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، الجزائر، 2016،.

- عوض محمد خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الأباضية في افريقية في مرحلة الكتمان، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 1980م،

- فلة القشاعي المولودة موساوي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771. 1837)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر ،1989. 1990،

- محمد بن يوسف اطفيش: شرح كتاب النيل وشفاء العليل رحمه الله، ج2، بيروت: دار الفتح، جدة: مكتبة الإرشاد، د . ت . ط. 554.

- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع 128 ،الكويت، 1988.

- محمد عقلة الإبراهيم: الزواج والفرقه في الفقه الإسلامي، دار النفائس، ط1، عمان، 2012م.

- محمد ناصر: الشيخ القرادي، الحاج أيوب بن يحيي (1923. 1989م) آثاره الفكرية جمعية النهضة، ط2، مز. ومنق، العطف . غرداية، 2009م.

- مفدي زكرياء: أضواء على واد مزاب ماضيه وحاضره، تح: ابراهيم بن بكير بحاز، ط1، الجزائر: منشورات آلفا ،2010م،

- ناصر بالحاج: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة،

- وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط4، دمشق، 1989م، ج7،

- يوسف بن بكير الحاج سعيد: الهوية المزابية أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ، المطبعة عربية، ط1، غرداية، 2011م،.

- https://atmzab.net/index.php?option=com_content&view=article&id=1808&catid=32&Itemid=569

- Mercie : M, La civilisation urbaine au M'Zab.Alger : I.A.C.E. P,1922,.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01 : وادي مزاب

منظر شمالي لمدينة غرداية[6]

المصدر:

ميهوبي عبد القادر السائجي الإدريسي الحسني , أل البيت في الجزائر و العالم العربي الإسلامي ,(تحفة الاولاد في نسب الأجداد , البصائر , ص 220) .

الملحق رقم 02 : شبكة وادي مزاب

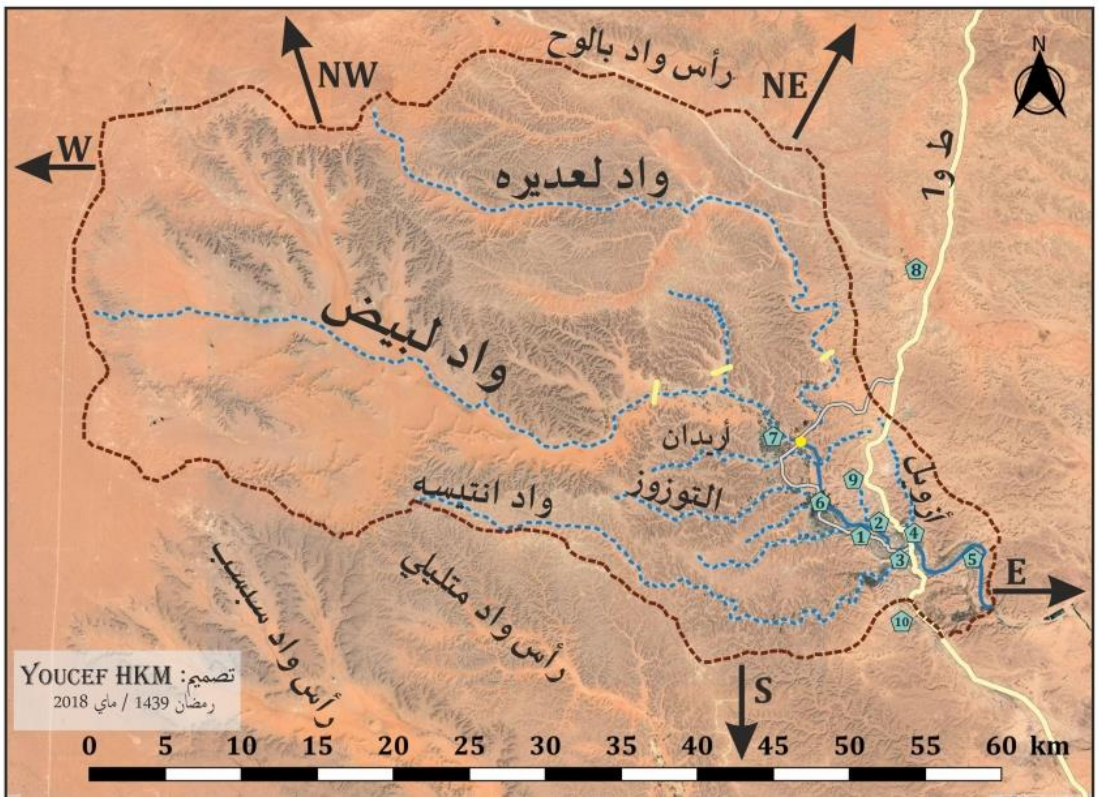

المصدر:

https://www.atmzab.net/

الملحق رقم 03 : نظام الفقارة

المصدر:

https://al3loom.com/

الملحق رقم 04 : أحولي لباس النساء

المصدر :

https://www.atmzab.net/index.php?option=com_content&view=article&id=1220&catid=73&Itemid=141

الملحق رقم 05 : فك العشيرة للنزاعات

المصدر :

وقف النخيل و العراجين للمسجد أو المحضرة خزانة مخطوطات الحاج يوسف بن ابراهيم بن بعمور بافولولو رقم المخطوط بالفهرس 100 رقم بالخزانة ي ب 44

الملحق رقم 06 :

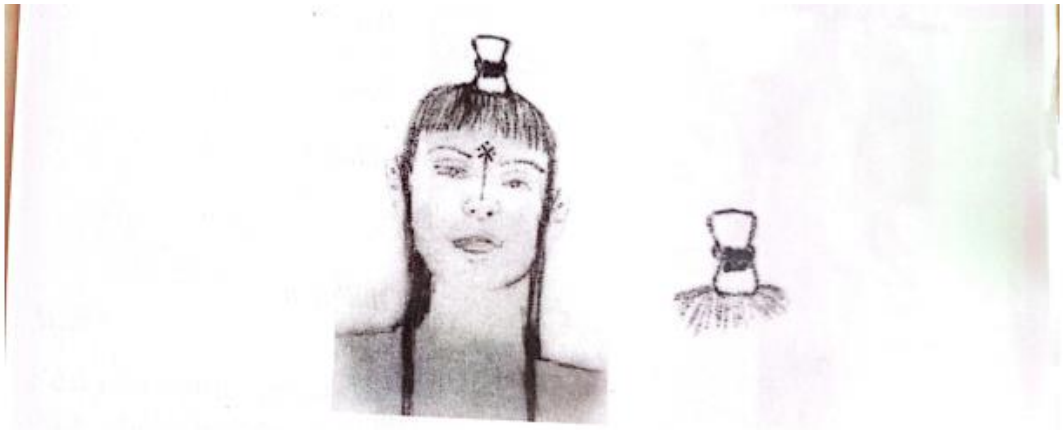

*Takembuč*t *n'tačrirt*

*Takembuč*t *n'tačrirt* est la coiffure de la mariée lors de la première nuit. Elle se distingue par deux tresses de part et d'autre et par une T*akembuc*t dressée sur la tête, avec un dessin sur le visage qui s'appelle *amui*.

المصدر :

Le Mézab . etude d'anthropologie historique et culturelle

الملحق رقم 07 : فخار في القبر

المصدر:

Florine morine, une collection de ceramique du mzab au museé d'ethnographie de geneve , horizons maghrebins , 76 , presses universitaire du mirail , 2017 , p 45.

الملحق رقم 08 : مسار الزيارة

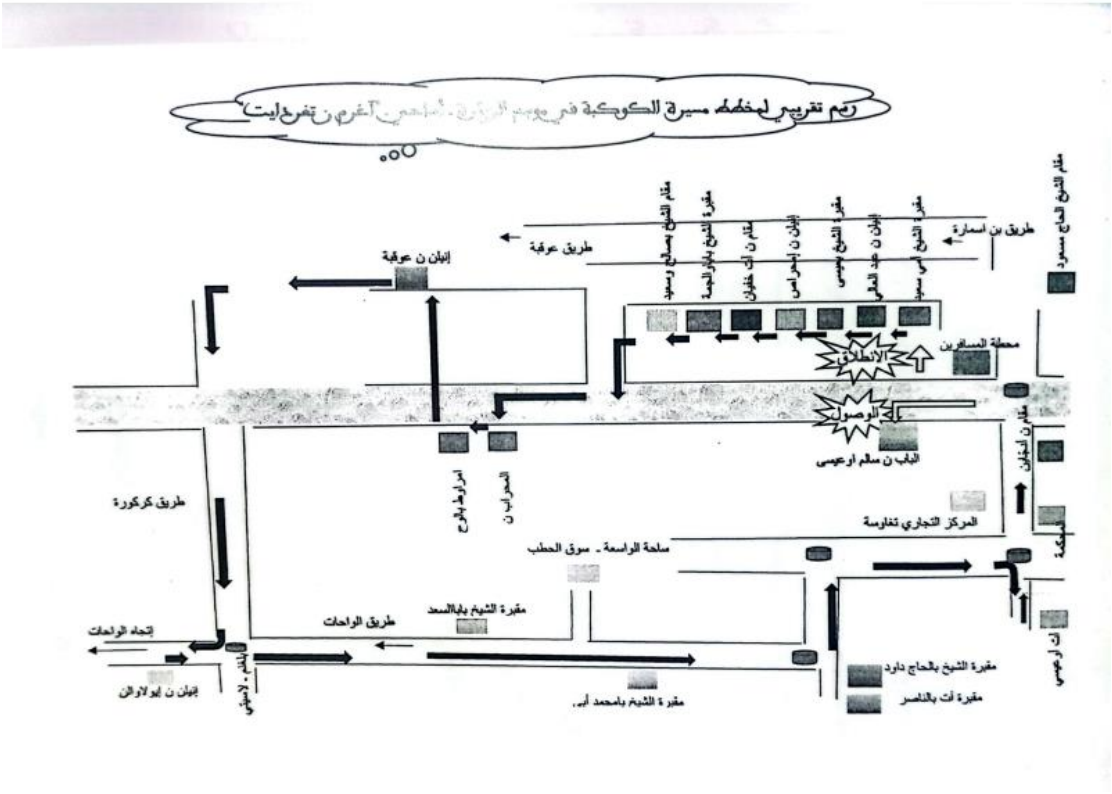

المصدر :

العلامة الشيخ حمو بن باحمد بابا و موسى , موسم الزيارة بوادي مزاب , بلدة تغردايت نموذجا ص 61